د. حمود بن محمد بن على النجيدى *

# منهجية ابن العبرى التاريخية تجاه أحداث الحروب الصليبيـة مقارنة بمنهجية ابن الاثير

## أولا : المقدمة :

مما لاشك فيه أن عقيدة المرء تؤثر على فهمه ورؤيته للأحداث والتطورات ، وبالتالى نظرته وتصوره لها. ومن الأمور البارزة فى تاريخ العلاقات بين الإسلام والنصرانية أحداث الحركة الصليبية وتطوراتها التى صبغت الحياة السياسية بل ورسمت مساراتها فى عدة ميادين؛ كان أبرزها ميدان فلسطين وبلاد الشام.

وأظنه واضحًا أن تأثيرات الحركة الصليبية لم تقتصر على ميدانها أو ميادينها بالمفهوم الجغرافى ، بل إنها تجاوزتها إلى المناطق الأخرى المتاخمة بل وغير المتاخمة، والاختلاف يكمن فقط فى درجة ومستوى التأثير.

عاشت الحركة الصليبية فى ميدان فلسطين وبلاد الشام قرنين من الزمان، وأرخ لهذه الحركة الكثيرون من المعنيين بالتاريخ منهم من ينتمى إلى الجانب الإسلامى ومنهم من ينتمى إلى الجانب النصرانى، وهذا الاختلاف فى الانتماء الدينى بالنسبة لمؤرخى الحروب الصليبية

* أستاذ مشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم كلية العلوم الاجتماعية.

يقدم فرصة جيدة لتقويم العديد من الدراسات التاريخية المقارنة سواء بالنسبة لأفراد من المؤرخين أم بالنسبة لمجموعة المؤرخين على الجانبين، وأمر طبيعى أنه من غير الممكن تقديم دراسات مقارنة فى الإطار الثانى دون الاعتماد على دراسات مقارنة للمبرزين من أفراد المؤرخين فى كلا الجانبين.

وتمشيًا مع هذه القاعدة ، فإن البحث الذى أقدمه فى هذه الصفحات يعنى بدراسة منهجية مؤرخ مقارنة بمنهجية مؤرخ آخر كلاهما من المؤرخين الذين أرخوا للحروب الصليبية، أحدهما مسلم والثانى نصرانى عاشا فى فترتين متقاربتين من الناحية الزمانية، وفى منطقتين متقاربتين أيضًا من الناحية الجغرافية، وكان لكل من المنطقتين إسهامهما فى تشكيل بعض مسارات الحركة الصليبية وتحديد أبعادها .

وإضافة إلى ما سبق فإن كلا المؤرخين قد انتهت حياتهما فى فترة الصراع الذى كان محتدمًا بين المسلمين والصليبيين، والاختلاف بين المؤرخين فى هذه الجزئية يتمثل فى أن أحدهما وهو ابن الأثير أمضى حياته فى المنطقة الإسلامية، بينما أمضاها الآخر وهو ابن العبرى فى نواح كانت غالبًا خاضعة للصليبيين أو لحلفائهم.

واختلاف آخر بين المؤرخين هو أن لكل منهما نظرته المختلفة عن الآخر فى أحداث الحروب الصليبية ، وبالتالى اختلاف منهجيتيهما التاريخية حولها؛ وإذا كان تركيز هذه الدراسة على منهجية ابن العبرى، فهى أيضًا بيان لمنهجية ابن الأثير لأن المقارنة تستدعى توضيحًا لهذه المنهجية فى الحدود التى نتعرف من خلالها على منهجية الأول اعتماداً على ما أورده فى تاريخه من أحداث خاصة بالحروب الصليبية تتوافق مع الأحداث التى أوردها ابن الأثير ، وبهذا تكون المقارنة- من وجهة نظرى- أمثر دقة وأكثر موضوعية.

ولقد بدأت بتوضيح منهجية ابن الأثير ثم أعقبت ذلك ببيان منهجية ابن العبرى وذلك لسببين أرى أهميتهما:

أولهما : أسبقية ابن الأثير الزمنية مولداً ووفاة وتأليفًا لكتابه ، وأيضًا كونه أكثر قربًا للأحداث .

وثانيهما : أن ابن الأثير وبالتحديد كتابه (الكامل فى التاريخ) ، وهو موسوعى مفصّل يعد أصلاً لكتاب ابن العبرى (تاريخ مختصر الدول)، وهو مختصر موجز ، فقد نقل ابن العبرى معظم معلوماته إن لم يكن جميعها والخاصة بأحداث الحروب

الصليبية عن ابن الأثير حتى أنه استخدم ألفاظه وعباراته وجمله وكلماته فى كثير من الأحيان .

هذا ويلزم قبل الحديث عن عناصر المقارنة بين منهجيتى المؤرخين أن أمهد لذلك بحديث موجز عنهما وعن كتابيهما .

## ثانيًا : المؤرخان والكتابان :

فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة (١١٦٠م) ولد أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى الذى حمل فيما بعد لقب عز الدين، وعرف واشتهر بابن الأثير الجزرى نسبة إلى جزيرة ابن عمر الذى ولد فيها، وهى إحدى البلدات أو المدن الصغيرة التابعة لمدينة الموصل حاضرة ديار ربيعة فى القسم الجنوبى الشرقى من الجزيرة الفراتية [١].

وبعد سنوات الطفولة انتقل صاحبنا مع أبيه وأخويه إلى مدينة الموصل، وكانت آنذاك تماثل مدينة حلب إلى حد كبير فى كون كل منهما مركزاً من مراكز المقاومة الإسلامية ضد الوجود الصليبى ولاسيما فى إمارة أنطاكية الصليبية[٢].

وفى حياته يذكر عن ابن الأثير أنه زار العديد من المراكز أو المدن الإسلامية مثل بغداد ودمشق والقدس وغيرها، وبعض هذه الزيارات تمت بوصفه مبعوثًا من قبل هذا أو ذاك من الحكام المسلمين ؛ على حين كانت الزيارات الأخرى التى قام بها من أجل إكساب شخصيته العلمية- ولاسيما فى مجال التأريخ- المزيد من الصقل والإثراء.

وفى سنواته الأخيرة تنقل مؤرخنا بين كل من حلب ودمشق والموصل، وفى هذه الأخيرة ، وفى شهر شعبان من سنة ثلاثين وستمائة (١٢٣١م) وافته منيته بالغًا من العمر خمسة وسبعين عامًا وثلاثة شهور، ودفن فيها[٣].

ويعد ابن الأثير من أبرز المؤرخين المسلمين الذين أرخوا- لفترة زمنية طويلة من الحروب الصليبية كما أن كتابه (الكامل فى التاريخ) يعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامى عامة وفترة الحروب الصليبية بصفة خاصة.

هذا عن ابن الأثير؛ أما عن ابن العبرى: فهو أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطى المشهور بابن العبرى نسبة إلى قرية (عبرا) وهى إحدى قرى ملطية[٤] المولود فيها سنة ثلاث وعشرين وستمائة هجرية (١٢٢٦م) ، وكانت نشأته فيها حيث درس اليونانية والسريانية والعربية ، وعلوم أخرى مثل الطب والفلسفة واللاهوت.

وبسبب ظروف الغزو المغولى هربت أسرته إلى أنطاكية ، وارتحل منها إلى طرابلس ، وتنقَّل بين بلاد الشام وبلاد شمال العراق حتى عيِّن فى إحدى بلداتها (جوباس) رئيسًا لأساقفة الشرق [٥] ، واستمر فيه حتى وافاه الأجل فى بلدة مراغة من أعمال أذربيجان[٦] سنة خمس وثمانين وستمائة للهجرة (١٢٨٦م) .

ويعد ابن العبرى من أهم المؤرخين النصارى الذين أرخوا- كما هو ابن الأثير- لمعظم أحداث فترة الحروب الصليبية، كما يعد كتابه (تاريخ مختصر الدول) أهم مؤلفاته التى ألفها وزادت على الثلاثين كتابًا[٧].

ويوجد بين المؤرخين ابن الأثير وابن العبرى العديد من عناصر التشابه فكل منهما عنى بالتأليف فى حقل التاريخ، والاختلاف بين المؤرخين فى هذه الجزئية يكمن فى مستوى الاهتمام، فابن الأثير جعل من التاريخ اهتمامه الأول، ولهذا جاءت كافة مؤلفاته فى التاريخ على اختلاف أنواعه العام منها والخاص ؛ أما ابن العبرى فقد شكل التأريخ واحداً من مجالات اهتماماته العلمية، وبما أتى فى مكانة تالية لتلك الاهتمامات .

وكلا المؤرخين يوضع ضمن مؤرخى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، فابن الأثير كان نصيبه من القرن المذكور ثلاثين سنة على حين كان نصيب ابن العبرى عمره كله والذى تجاوز ستين سنة، وهذا الاختلاف فى نصيب كل منهما من سنوات ذلك القرن لايؤبه به كثيراً إذا ركزنا على سنوات النضج، أو السنوات التى اكتملت فيها مقومات المؤرخ بالنسبة لكل منهما ، وفى هذه الحالة يتساوى المؤرخان على وجه التقريب .

وكل من المؤرخين أمضى حياته فى منطقة يمكن أن توصف بأنها ساخنة سواء فى ذلك بلاد الشام والجزيرة الفراتية بالنسبة لابن الأثير، أو أنطاكية ومدن عدة فى شمال العراق وأرمينية بالنسبة لابن العبرى ، وكل منهما عرف بالتنقل بين العديد من المدن والمراكز الحضارية والسياسية فى منطقته .

والاختلاف الجوهرى الذى نلحظه بوضوح من خلال تتبع حياة المؤرخين يتمثل فى الصبغة الدينية التى غلبت على الحياة الوظيفية لابن العبرى، والتى أوصلته إلى مركز مرموق فى سلم المناصب الدينية لجماعة اليعقوبية أو السريان النصرانية[٨]، وهذا لانجد له نظيراً بالنسبة لابن الأثير.

والقرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) الذى عاش فيه المؤرخان كان محكومًا بمجموعة من المسارات السياسية ، وأحد هذه المسارات الصراع الذى كان محتدمًا بين المسلمين والصليبيين ، وهذا يعنى أن كلا من المؤرخين كان معاصراً لحقبة من حقب الحروب الصليبية ؛ فابن الأثير كان معاصراً لمرحلتين من مراحل الحروب الصليبية [٩] ، مرحلة صلاح الدين الأيوبى[١٠] ؛ والتى كانت موازين القوى فيها تشير إلى تفوق المسلمين ، ومرحلة العادل الأيوبى وابنه الكامل، وفيها وبالذات فى عهد الكامل تراجعت القوة الإسلامية مما أتاح للصليبيين الاستفادة من هذا التراجع.

أما ابن العبرى فنجد أنه كان معاصراً لإحدى فترات الحروب الصليبية التى اتسمت بتحسن ميزان القوى لصالح المسلمين؛ ففى منتصف العقد الثالث من عمره وقعت أحداث الحملة الصليبية السابعة ، وهى الحملة التى اندحر فيها الصليبيون بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا[١١] ، وفى بدايات العقد الخامس من عمره ، وتحديداً سنة ست وستين وستمائة للهجرة (١٢٦١م) نجح المسلمون بقيادة السلطان المملوكى بيبرس البندقدارى[١٢] فى تحطيم الوجود الصليبى فى أنطاكية التى عاش فيها ابن العبرى سنوات لايستهان بها، وقد ترتب على انتصار المسلمين أن عادت أنطاكية إلى واقعها السابق منطقة إسلامية.

وقبل إنهاء الوجود الصليبى فى أنطاكية بحوالى عامين وجهت قوات الظاهر بيبرس ضربة شبه قاضية للكيان النصرانى المتمثل فى مملكة أرمينية النصرانية[١٣] والتى كانت ملطية وجوباس داخلتان فى نطاقها .

ومما لاشك فيه أن تدمير انطاكية والنكبات التى حلت بمملكة أرمينية قد انعكست أحداثهما بشكل مباشر على نفسية ابن العبرى، ولايمكن استبعاد أن تكون قد أثرت على تاريخه ، وليس مستغربًا أيضًا أن يكون انقطاعه فى بعض الأديرة قد جاء تعبيراً عما كان يعتمل فى داخله من حالة انهزامية.

ونترك المؤرخين ونلتفت إلى كتابيهما اللذين سنستخرج منهما عناصر المقارنة وبخصوص هذا الجزئية أقول :

إن كتاب ابن الأثير يحمل عنوان «الكامل فى التاريخ» على حين يحمل كتاب ابن العبرى عنوان «تاريخ مختصر الدول»، وهذا يعنى أنه جاء مختصراً أو موجزاً مقارنة بكتاب ابن الأثير غير أن هذا التفاوت لايشكل عقبة فى الوصول إلى عناصر المقارنة التى أستهدفها ،

ولكى تتضح هذه العناصر بأسلوب علمى سليم يلتزم الحيادية والموضوعية المطلوبة، فإننى أرى أن تتركز عناصر المقارنة على أقسام ثلاثة تبعًا لطبيعة الأحداث وإطارها الزمنى إذ أنها تنقسم إلى أحداث رئيسة وأخرى ثانوية، ومن أجل تيسير المتابعة فإنه بالنسبة للأحداث الرئيسة من الأفضل تقسيم الفترة الزمنية إلى مرحلتين المرحلة السابقة على صلاح الدين، ثم المرحلة الأيوبية، وليس من الضرورى التقيد بهذا التقسيم بالنسبة للأحداث الثانوية، وعلى هذا يكون لدينا ثلاثة أقسام تتركز عليها عناصر المقارنة.

يتبقى بعد ذلك أمران من الضرورى الإشارة إليهما، أولهما أن ابن الأثير قد اتخذ من النظام الحولى أساسًا لهيكلية كتابه ، وهذا ما نجده لدى ابن العبرى ولكن فى إطار الدول التى أرخ لها والتى ابتدأها بالدولة الأولى، واختتمها بالدولة العاشرة(١٤). الأمر الثانى يتصل باللغة التى كتب بها الكتابان ، فاللغة الأساسية التى ألف بها ابن الأثير كتابه هى اللغة العربية على حين يذكر عن ابن العبرى أنه ألف كتابه فى الأصل باللغة السريانية ثم نقله إلى اللغة العربية وذلك فى أواخر حياته، وذلك بناءً على طلب البعض من وجهاء العرب ، يقول العالم الذى وقف على طبع الكتاب فى صورته العربية(١٥) «وقد ضمنه أموراً كثيرة لاتوجد فى المطول السريانى، ولاسيما فيما يتعلق بدولتى الإسلامى والمغول وتراجم العلماء والأطباء».

## ثالثا : تأريخهما للفترة السابقة على صلاح الدين الأيوبى:

يصل المدى الزمنى للمرحلة السابقة على صلاح الدين بالنسبة للحروب الصليبية إلى حوالى ثمانين سنة(١٦)، والأحداث الرئيسة فى أثنائها متعددة يأتى فى مقدمتها تأسيس الإمارات الصليبية الأربع (الرها، أنطاكية ، بيت المقدس، طرابلس)(١٧)، ثم بعد ذلك انتهج الصليبيون فى كل إمارة سياسة التوسع على حساب القوى الإسلامية المجاورة؛ والتى كان عليها بالضرورة مقاومة هذا التوسع والتصدى له، وهو ما يعبر عنه إسلاميًا بالجهاد.

وبعد حوالى ثلاثين سنة من بداية تأسيس تلك الإمارات الصليبية أخذ يظهر على الساحة الإسلامية وفى إطار الجهاد ضد الصليبيين عماد الدين زنكى(١٨) وذلك فى منطقة لها مركزان أحدهما مدينة الموصل فى الجزيرة الفراتية وثانيهما مدينة حلب شمال بلاد الشام، وهذا يعنى أن المنطقة التى سيطر عليها عماد الدين كانت متداخلة فى حدودها مع الكيانين الصليبيين فى

كل من الرها وأنطاكية. اتخذ عماد الدين زنكى من الجهاد ضد الصليبيين طابعًا أساسيًا لسياسته ، وفى إطار علمياته الجهادية نجح فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (١١٤٥م) فى استرداد القسم الأكبر من إمارة الرها الصليبية، وبعد حوالى ست سنوات أكمل ابنه نور الدين محمود[١٩] المهمة الجهادية وتمكن من إزالة بقية إمارة الرها المتمثل بالجزء الشامى من الإمارة[٢٠] بعاصمته تل باشر[٢١].

ومن الأحداث الرئيسة البارزة فى عهد نور الدين محمود الحملة الصليبية الثانية والتى استهدفت دمشق، وذلك كى يعوض من خلالها الصليبيون ما ضاع منهم فى الرها ، ونعرف أن الفشل كان من نصيب الصليبيين فى هذه الحملة، وبعد إخفاق الحملة الصليبية الثانية فى تحقيق أهدافها اتخذ الصراع بين الصليبيين ونور الدين محمود شكل منافسة أو سباق حاد من أجل بسط السيطرة المباشرة على مصر، والتى كان النظام الحاكم فيها- وهو النظام الفاطمى- يتهيأ للسقوط ويترنح منذ سنوات.

وفى حمى هذا التنافس سقطت الدولة الفاطمية فى سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) لحساب نور الدين محمود مما يعنى اكتمال تطويق الوجود الصليبى من بيت المقدس جنوبًا وحتى أنطاكية فى الشمال .

وبعد حوالى سنتين آل حكم مصر إلى صلاح الدين الأيوبى فى خطوة بالغة الأهمية فى تشكيل بداية الحقبة الأيوبية [٢٢].

* * *

١- هذه بصورة عامة الأحداث الرئيسة فى إطار الصراع بين المسلمين والصليبيين إبان المرحلة السابقة على صلاح الدين، وقد أرخ كل من ابن الأثير وابن العبرى للمرحلة المشار إليها؛ فبالنسبة للحملة الأولى أرخ لها ابن الأثير فى مقدمة تأريخه لأحداث سنة إحدى وتسعين وأربعمائة (١٠٩٨م) [٢٣]، وذلك بدرجة مناسبة من التفصيل حيث غطى تطورات القتال الذى دار بين الصليبيين وقوات أنطاكية تحت قيادة حاكمها من قبل السلاجقة ياغى سيان [٢٤]، حاكم الموصل وممثل الدولة السلجوقية ضد الصليبيين الذين كانوا قد استولوا على أنطاكية منذ عدة أسابيع .

ويتفق ابن العبرى مع ابن الأثير فى التأريخ لاستيلاء الصليبيين على أنطاكية وذلك فى

شكل خبر موجز دون أى تفصيلات [٢٦]، والخبر الذى أورد ابن العبرى فى سطر واحد يمثل تلخيصًا لما أورده ابن الأثير مفصلاً فى عدة صفحات- قرابة أربع صفحات - .

ونتحرك مع تأسيس إمارة أنطاكية خطوة أخرى نحو جولة القتال الثانية التى انتهت بانتصار حاسم للصليبيين وبالتالى البداية الفعلية لتأسيس إمارة أنطاكية.

وبخصوص هذه الجزئية نجد أن ابن الأثير قد أرخ لهذه الجزئية فيما يزيد قليلاً على صفحتين[٢٧] بينما أرخ ابن العبرى لذات الحدث فى حوالى نصف صفحة وتحديداً فى أربعة عشر سطراً أى أربعة عشر مثلاً لما أرخ به لجولة القتال الأولى؛ بل وفى نفس الموضع [٢٨]، وما أرخ به ابن العبرى للجولة الثانية استقاه بل وأخذ بعض عباراته حرفيًا من ابن الأثير، وهذا النقل ليس مستغربًا من ابن العبرى إذ أنه من الأمور المسلم بها اعتماده على ابن الأثير كمصدر معلومات لكثير من الأحداث ومنها الأحداث المذكورة آنفًا .

غير أن التساؤلات التى تفرض نفسها تنصب على التباين الحاد فى مستوى المعالجة ، فإذا كان ابن العبرى قد أشار لجولة القتال الأولى باقتضاب شديد اتخذ شكل سطر واحد، فكيف نفسر إسهابه فى التأريخ لجولة القتال الثانية الذى استنفذ فيه أربعة عشر سطراً ؟ وهل يحمل هذا الإسهاب نوعًا من السخرية بالقائد المسلم كربوغا وإدارته للمعركة ؟. أم يبرز اعتزاز ابن العبرى بالقوة الروحية للنصرانية متمثلة فى أحد الرهبان الذى وصفه بقوله : «وكان داهية من الرجال» ؟ .

أم يغمز ابن العبرى من خلال ذلك إلى الروح الانهزامية التى سيطرت على الجنود المسلمين فولوا منهزمين قبل أن يخوضوا المعركة ؟!!.

تساؤلات عدة يطرحها تباين ابن العبرى فى مستوى المعالجة ، وإذا كان من الصعب أن نختار التبرير الحقيقى؛ فإنه من السهل أن نؤكد أن منهجية ابن العبرى ومعالجته لهذه الجزئية غير مستقيمة ، وأن فيها من الانحياز لأبناء ديانته، والسرور لنتائج الأحداث ماهو واضح لا لبس فيه .

٢- ونتحرك مع الزمن قليلاً بعد تأكيد الصليبيين سيطرتهم على أنطاكية، فنجد أن ابن الأثير قد أرخ لسيطرة الصليبيين على معرة النعمان[٢٩] مشيراً إلى المقاومة التى بذلها أهلها ضد الغزاة وموضحًا أيضًا المذبحة المروعة التى ارتكبها الصليبيون مع أهلها، وقد غطى ابن

الأثير ذلك فى نصف صفحة[٣٠] بينما غطى ابن العبرى أحداث معرة النعمان فى سطر واحد قـقط [٣١]، وهو بهذا الإيجاز الشديد أفرغ الحدث من مقوماته الأساسية ، وأظهر تغاضيًا متعمداً عن أمور لايريد ذكرها، ولاسيما المذبحة التى ارتكبها الصليبيون ضد الأهالى، وهذا التجاهل يبرز تعاطف ابن العبرى مع إخوانه فى العقيدة ، وفى إطار هذا أيضًا يتجاهل المقاومة الشديدة التى أبداها أهالى المعرة فى مواجهة الصليبيين، ومنطلق ابن العبرى فى تجاهل المقاومة الإسلامية هو نفسه منطلق تجاهله للمذبحة ، بمعنى أن ما يحمل إيجابية للمسلمين ينبغى تجاهله بالدرجة ذاتها التى يجب فى إطارها تجاهل الصور القاتمة أو السلبية بالنسبة للصليبيين، وهذا يعنى أن تعاطف ابن العبرى مع الصليبيين يقابله درجة من عدم التعاطف مع المسلمين، وبكل وضوح يقلل هذا الموقف من موضوعية ابن العبرى وحياديته فى تناوله للأحداث.

٣- وإذا انتقلنا إلى السنة التالية سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة (١٠٩٩م)، حيث بدأ الصليبيون فيها تأسيس مملكة بيت المقدس ، وتتمثل نقطة البداية فى هذا التأسيس فى الانتصار الذى أحرزه الصليبيون على القوات الإسلامية المدافعة عنها والتى كانت تابعة للدولة الفاطمية.

ولقد أرخ كل من ابن الأثير وابن العبرى بما عرف عن أسلوب كل منهما بين التفصيل والإيجاز [٣٢]، وهذا أمر طبيعى ، ولكن الذى يثير التساؤل حقًا هو أن ابن العبرى أرخ فى كتابه للمذبحة التى أوقعها الصليبيون بالمسلمين فى بيت المقدس، وذلك على النقيض من تجاهله للمذبحة التى ارتكبوها بحق المسلمين فى معرة النعمان، ولايمكن الزعم بأن ابن العبرى قد أحيط علمًا بما جرى للمسلمين فى بيت المقدس؛ على حين أنه لم يكن يعرف شيئًا عن مذبحة المعرة، وذلك لسبب بسيط يتمثل فى حقيقة أن مصدر معلوماته فى الحدثين واحد هو ابن الأثير .

ولايبقى أمام الباحث سوى محاولة تفسير التناقض ، وفى هذا الجانب يمكن القول بأن ابن العبرى تجاهل مذبحة المعرة نظراً لأن المدينة تحتل مكانة ثانوية مقارنة بمكانة القدس التى سيؤرخ لمذبحتها من قبل الجميع ، أما المعرة فنظراً لثانويتها فقد ليؤبه بالتأريخ لمذبحتها ؛ ويحتمل إن هو أقدم على ذلك أن يكون الشاهد الوحيد على جريمة بشعة ارتكبها إخوانه فى النصرانية.

٤- معروف فى التاريخ أن إمارة الرها الصليبية قد اسقطت على مرحلتين جرت أحداث المرحلة الأولى فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (١١٤٤م) حينما هاجم عماد الدين زنكى ورجاله مدينة الرها وانتزعوها من حاكمها الصليبى جوسلين الثانى[٣٣]، أما المرحلة الثانية فإنها ترتبط بجهود نور الدين محمود فى سنة ست وأربعين وخمسمائة (١١٥١-١١٥٢م) حيث تجمع المصادر التى أرخت للمرحلة الثانية أن نور الدين قد منى بالهزيمة أول الأمر، ثم وضع خطة لأسر حاكمها جوسلين الثانى، وفعلاً نجحت الخطة وترتب عليها هزيمة الصليبيين ومن ثم إزالة الوجود الصليبى فى القسم الثانى من الرها الصليبية واستعادة حاضرته تل باشر.

ونرجع لابن العبرى فنجده قد أرخ لمرحلتى السقوط، وجملة ما دونه بخصوص هذا الحدث يتفق مع ما دونه ابن الأثير[٣٤] مع ملاحظة الفرق بينهما فى الإيجاز والتفصيل ، وأيضًا أن كثيراً من الألفاظ والعبارات التى استخدمها ابن الأثير قد استخدمها ابن العبرى، وهذا يؤكد أن ابن العبرى قد نقل معلوماته بصورة مباشرة من ابن الأثير، ولايستبعد أن كليهما قد استفادا من مصدر آخر هو على الأرجح ابن القلانسى الذى كان معاصراً لهذه الأحداث[٣٥].

هذا بالنسبة للحدث أما التعليق عليه وإبراز قيمة أسر جوسلين فى ترجيح كفة انتصار المسلمين، فقد أورده ابن الأثير[٣٦] على حين تجاهله ابن العبرى تجاهلاً تامًا ، ولاشك أن لهذا التجاهل مبرراته عند ابن العبرى، ونستأنس بالنصوص من كلا المصدرين لبيان ذلك، فهذا ابن الأثير يعلق على نجاح خطة نور الدين فى أسر جوسلين الثانى قائلا[٣٧]:

«وكان أسره من أعظم الفتوح لأنه كان شيطانًا عاتيًا ، شديداً على المسلمين قاسى القلب، وأصيبت النصرانية كافة بأسره».

أما ابن العبرى فنجده قد أرخ لمرحلتى إسقاط الرها وذلك بصورة موجزة للغاية بالنسبة للمرحلة الأولى حيث قال[٣٨]:

«وفى سنة تسع وثلاثين فتح أتابك عماد الدين زنكى مدينة الرها من الفرنج».

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فنجد ابن العبرى يلجأ إلى تفصيل نسبى استفادة أو نقلاً عن ابن الأثير، والتفصيل الذى جاء يرتبط ارتباطًا مباشراً بتعاطفه مع الصليبيين حيث يقول[٣٩]:

«فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون، وقتل منهم وأسر جمع كثير، وكان فى جملتهم سلاح دار نور الدين ، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره إلى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وأقصرا ، وقال له: هذا سلاح دار زوج ابنتك، وسيأتيك بعده ما هو أعظم منه».

أما ابن الأثير فيقول [٤٠]: «فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون ، وقتل منهم وأسر جمع كثير، وكان فى جملة من أسر سلاح دار نور الدين، فأخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره إلى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وأقصرا ، وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما أعظم منه».

ومن المقارنة بين ما أورده ابن العبرى وما أورده ابن الأثير يتضح أن الألفاظ والعبارات التى استخدمها ابن العبرى هى نفسها التى استخدمها ابن الأثير مما يؤكد أن ابن العبرى قد استفاد منه فى معلوماته ، والفرق البارز بين المؤرخين يتمثل فى حقيقة أن ابن الأثير كان متوازنًا فى عرضه للأحداث، ولم يمل أو يتحيز إلى الجانب الإسلامى على حساب الجانب الصليبى، وعلى العكس من ذلك كان ابن العبرى الذى دفعه ميله أو تحيزه إلى إخوانه فى العقيدة الصليبيين إلى إغفال ما يسىء إليهم أو يقلل من شأنهم، وفى ذات الوقت حرص على كشف كل ما ظنه مسيئًا إلى المسلمين.

٥- فى الفترة الواقعة بين مرحلتى إسقاط الرها الصليبية، وتحديداً فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (١١٤٨م) وقعت أحداث الحملة الصليبية الثانية[٤١] التى استهدفت دمشق مدينة وإمارة بهدف تعويض الخسارة التى لحقت بالصليبيين نتيجة ضياع الرها.

كان المتوقع من ابن العبرى الذى أرخ لمرحلتى إسقاط الرها ، أن يؤرخ للحملة الثانية غير أنه تجاهلها تجاهلاً تامًا، وكأنها لم تحدث مع ملاحظة أن ابن الأثير قد أرخ لها وبتفصيلاته المعهودة ، ولايصح لأحد أن يزعم أن تجاهل ابن العبرى لهذه الحملة يعود لتفاهة الحدث وقلة أهميته ، إذ أنه حدث أساسى من أحداث الحروب الصليبية ، ثم لايغيب عن أذهاننا أن ابن العبرى قد أرخ لأحداث تعد ثانوية للغاية.

والتفسير المنطقى والمقبول لهذا التجاهل يكمن فى حقيقة واحدة ولاشىء سواها، تتمثل فى الفشل الذريع التى منيت به الحملة على الرغم من الحشد الهائل الذى سخر لها والتى عقد عليها الصليبيون الكثير من الآمال أقلها أنها ستعوضهم عن خسارتهم بضياع الرها بالاستيلاء على دمشق، ولكن لم يستحسن ابن العبرى هذا الخسران فآثر تجاهله، حتى ولو كان

على حساب الحقيقة والأمانة العلمية، واتخذ ابن العبرى هذا الموقف الذى يتنافى والحيادية فى التأريخ والأمانة العلمية، واتخذ ابن العبرى هذا الموقف الذى يتنافى والحيادية فى التأريخ للأحداث، وليته اقتدى بابن الأثير فى حياديته وترفعه عن التأثر بالعواطف بل ليته استفاد من مؤرخ صليبى اشترك مع ابن الأثير فى المعاصرة لعدة عقود ذلك هو وليم الصورى[٤٢] الذى أرخ لأحداث الحروب الصليبية بدرجة معقولة من الحيادية وخصص عدة صفحات للتأريخ للحملة الصليبية الثانية [٤٣]؛ بل إنه كتب فى التعليق على إحدى الهزائم التى حاقت بالصليبيين قائلاً [٤٤]:

«ولقد ضاعت فى هذا اليوم شهرة الفرنجة الرائعة فى خطب كان من أشد الخطوب، وفى نكبة كانت من أقدح النكبات التى حاقت بالصليبيين ، ذلك أن بسالتهم التى كانت حتى هذه اللحظة مضرب الأمثال عند الشعوب هوت إلى الحضيض ، وأصبحت سخرية فى عيون الأمم النجسة (يقصد المسلمين) بعد أن كانت بالأمس مصدر فزع لها ».

أفلايحق للباحث أن يقول بأن تأريخ وليم الصورى- وهو صليبى- للحملة الثانية وللفشل الذريع الذى منيت به يمثل شهادة تدين ابن العبرى، وتدين تجاهله المتعمد لهذه الحملة التى تمثل نقطة تحول فى مسار الحروب الصليبية .

## رابعًا : الفترة الأيوبية:

أقصد بالفترة الأيوبية تلك الحقبة التى تبدأ من انفراد صلاح الدين الأيوبى بحكم مصر عقب وفاة نور الدين محمود فى شهر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة (١١٧٤م)، وتنتهى بمعاهدة يافا التى عقدت بين المسلمين والصليبيين فى ربيع الأول من سنة ست وعشرين وستمائة (مارس ١٢٢٩م) وهذا يعنى أن المدى الزمنى لهذه الفترة يصل تحديداً إلى سبع وخمسين سنة[٤٥].

والفترة الأيوبية متخمة بالأحداث الهامة والتقلبات المثيرة، وفى مقدمة هذه الأحداث نجاح صلاح الدين فى توحيد الجبهة الإسلامية مما كان عاملاً مؤثراً فى الانتصار الإسلامى فى حطين[٤٦] وهى المعركة التى انتصر فيها المسلمون انتصاراً مؤزراً تحت قيادة صلاح الدين أثمر عن نتائج إيجابية عديدة جاء فى مقدمتها استرداد المسلمين بيت المقدس.

ثم كانت غلبة الصليبيين فى معركة عكا[٤٧] فى أعقاب الحملة الصليبية الثالثة مما ترتب عليه مكاسب عدة لصليبى الجنوب أو بيت المقدس، أما فى الشمال فقد خصص صلاح الدين

سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١١٨٨م) للجهاد ضد أنطاكية، وقد تحقق للمسلمين فى هذه الناحية مكاسب لكنها كانت أقل شأنًا مما تحقق لهم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

ختم صلاح الدين جهاده ضد الصليبيين بصلح الرملة[٤٨] الذى تم التوصل إليه فى شهر شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة للهجرة (٢سبتمبر ١١٩٢م) .

وتبعًا لبنود صلح أو هدنة الرملة تجمَّد النشاط العسكرى بين الجانبين لفترة، ثم فى أواخر سنة أربع عشرة وستمائة (١٢١٨م) بدأت طلائع قوات الحملة الصليبية الخامسة تصل إلى شمال الدلتا المصرية، وهى التى شهدت عدة أحداث هامة أحدثت تغيراً مثيراً لصالح المسلمين.

كان من أحداث هذه الحملة استيلاء الصليبيين على مدينة دمياط ومن ثم توغل قواتهم جنوبًا صوب العاصمة المصرية، وفى الطريق تصدت لهم القوات الأيوبية فى منطقة شكلت ما يمكن أن نسميه خط الدفاع الثانى والتى كانت مدينة دمياط قبله قد شكلت خط الدفاع الأول، وفى منطقة خط الدفاع الثانى حقق المسلمون انتصارهم الأول على قوات الحملة، وبعده توالت الهزائم على الصليبيين ، وزاد من تأزم موقفهم إغراق مدينة دمياط وإغلاق خط الرجعة أمامهم، ورضخوا لشروط الهدنة التى أملاها عليهم ومن مركز قوة الملك الكامل الأيوبى[٤٩]،وكان أولها انسحابهم من أرض مصر مما يعنى هزيمة مريرة وفشلاً ذريعًا لأحلامهم وأهدافهم من الحملة على مصر .

وبعد سنوات ، وفى منتصف سنة خمس وعشرين وستمائة (١٢٢٨م) شهدت سواحل أرض فلسطين الحملة الصليبية السادسة، والتى تتمثل أحداثها الرئيسة فى حدثين أولهما استعانة السلطان الأيوبى الملك الكامل بالإمبراطور الألمانى فردريك الثانى[٥٠] كى يسانده فى مواجهة منافسيه من زعماء البيت الأيوبى، أما الحدث الثانى فهو تخلى الزعيم الأيوبى عن بيت المقدس للإمبراطور الألمانى والذى يعد العنصر الأساسى فى هدنة يافا[٥١] التى عقدت بين الجانبين فى ربيع الأول سنة ستة وعشرين وستمائة للهجرة (مارس ١٢٢٩م) .

* * *

١- كانت أحداث الفترة الأيوبية متزامنة مع المؤرخ ابن الأثير فى فترة نضجه وتشكيل مقوماته بوصفه مؤرخًا ، فقد كان حينما وقعت معركة حطين فى أواخر العقد الثالث من عمره؛ أما ابن العبرى فكان يعبر السنوات الأولى من عمره مع أحداث الحملة الصليبية السادسة ، وإذا صح للباحث أن يقول عن ابن الأثير أنه كان معاصراً للفترة الأيوبية ، فإن ابن العبرى كان

قريب العهد بها، إضافة إلى أنه عاصر المرحلة اللاحقة بما فيها من أحداث الحملة الصليبية السابعة وإسقاط أنطاكية الصليبية .

على أى حال فالعنصر الأساس لهذه الدراسة هو المقارنة بين المؤرخين فى تأريخهما لأحداث المرحلة، ونبدأ بابن الأثير فنجده قد أرخ لكل أحداثها (٥٢)، وأهمها الجهود التى بذلها صلاح الدين الأيوبى من أجل مواجهة الخطر الصليبى بإعادة بناء الجبهة الإسلامية ، ومن ذلك نجاحه فى ضم دمشق وحصاراته لحلب(٥٣) ثم ضمها ، وأيضًا نجد ابن العبرى قد أرخ(٥٤) لهذه الحوادث ناقلاً ذلك بصورة نصّيه إلى حد كبير عن ابن الأثير، ومستخدمًا ألفاظه التى عبّر من خلالها عن تطورات الأحداث ، ويتبين لنا ذلك من قول ابن الأثير عن الحدث الأخير وهو حصار حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة (١١٨٣م) (٥٥):

«إنه يسلم- عماد الدين - حلب ، ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج، وجرت اليمين على ذلك ، وباعها بأوكس الأثمان، أعطى حصنًا مثل حلب وأخذ عوضها قرى ومزارع... فعجب الناس كلهم من ذلك ، وقبحوا ما أتى ، حتى إن بعض عامة حلب أحضر إجّانة وماءً ، وناداه أنت لايصلح لك الملك ، وإنما يصلح لك أن تغسل الثياب، وأسمعوه المكروه».

أما ابن العبري فيقول (٥٦):

«فتقرر الصلح أن يسلم حلب إلى صلاح الدين، ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج، وجرت اليمين على ذلك ، فباعها بأوكس الأثمان؛ أعطى حصنًا مثل حلب ، وأخذ عوضها قرى ومزارع، فقبح الناس كلهم ما أتى».

وكما هو واضح فقد اعتمد ابن العبرى على معلومات ابن الأثير، وحتى ألفاظه فى التآريخ لهذا الحدث، ولكن انفرد ابن الأثير بإبراز إيجابية هذا الحدث بالنسبة لدولة صلاح الدين قائلاً(٥٧):

«واستقر ملك صلاح الدين بتملكها ، وكان مزلزلاً ، فثبت قدمه بتسليمها ، وكان على شفا جرف هار».

وهذا التعليق من ابن الأثير يحمل مبالغة واضحة ، فقد كان ملك صلاح الدين يزداد رسوخًا وثباتًا سنة بعد أخرى منذ انفراده بحكم مصر أواخر سنة تسع وستين وخمسمائة، ولايغيب عنا أن ابن الأثير فى هذا التعليق كان متحاملاً على صلاح الدين ، وذلك لاعتقاده أنه لم يحفظ جميل أستاذه نور الدين، فعامل ابنه بصورة غير لائقة ، وعلى هذا الأساس فإن

تجاهل أو إغفال ابن العبرى لتعليق ابن الأثير لايخرج عن أحد أمرين أولهما : أن هذا الإغفال جاء تمشيًا مع أسلوب الإيجاز الذى اختاره لكتابه ، وفى هذه الحالة يلزم أن نصمت إزاءه؛ وثانيهما : أن يكون هذا التجاهل قد حدث لكى لايقع فى سقطة علمية، وفى هذه الحال يكون التجاهل أمراً طيبًا جديراً بالإشادة(٥٨).

٢- بعد إعادة بناء الجبهة الإسلامية تتابعت سلسلة من الأحداث أبرزها معركة حطين فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) وما ترتب عليها من مكتسبات فى مقدمتها استرداد المسلمين لمدينة بيت المقدس .

وبالنظر إلى موقف مؤرخينا من هذه المعركة نجد أن ابن الأثير قد أرخ لأحداث السنة المشار إليها بدرجة وافية من التفصيل (٥٩)، وفى إطار هذا التفصيل أبرز عوامل الهزيمة التى لحقت بالصليبيين فى معركة حطين ومن أبرزها حرمان الصليبيين من مصادر المياه، وهو سلاح استخدمه صلاح الدين بقدرة فائقة ، ثم تحدث عن الأسرى الصليبيين ، وعدّد من أسر من زعمائهم وطوائفهم .

أما ابن العبرى فموقفه غريب جداً من هذه المعركة حيث نجد أنه تجاهل الإشارة إليها تجاهلاً تامًا بحيث لم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد! هذا على حين أنه أرخ لأحداث ثانوية سبقت المعركة، وأخرى أقل شأنًا أيضًا أعقبت المعركة ، فمن الأحداث التى أرخ لها(٦٠) قبل معركة حطين استيلاء قوات صلاح الدين على طبرية (٦١)، ومن الأحداث التى أعقبتها استعادة المسلمين لعدد من المدن الإسلامية من بينها قيسارية وحيفا ويافا وتبنين وصيدا وبيروت وجبيل وعسقلان وغيرها من المدن والبلدات الإسلامية ، وابن العبرى فى هذا ناقل عن ابن الأثير فى كل معلوماته التى أوردها (٦٢).

فما هى مبررات ابن العبرى فى إغفال مثل هذا الحدث الهام واهتمامه بدلاً من ذلك بأحداث ثانوية؟!! .

إن فكرة الإيجاز أو التلخيص التى اتسم بها منهج ابن العبرى فى تأليف كتابه تعنى بداهة التركيز على الأحداث الأساسية ، وتجاهل الأحداث الثانوية غير أن ابن العبرى انتهج أسلوبًا متناقضًا تمامًا، وليس له من تبرير سوى أن قلمه لم يطاوعه فى أن يبرز كارثة حاقت بالصليبيين كتلك التى ألمت بهم فى معركة حطين ، وهذا يعنى رضوخه لعواطفه الدينية، وهذا الرضوخ ينافى الموضوعية المطلوبة من المؤرخ فى معالجة الأحداث التاريخية.

٣- وفى الوقت الذى تجاهل فيه ابن العبرى معركة حطين، نجده يؤرخ وبدرجة غير مألوفة من التفصيل عن ظروف استرداد صلاح الدين لبيت المقدس [٦٣]، وهو الحدث الذى وقع بعد معركة حطين بعدة أسابيع [٦٤]، ومن الأمور التى حرص على تسجيلها القتال الشديد التى احتدم بين المسلمين والصليبيين على مشارف المدينة، كما سجل الحوار الذى دار بين صلاح الدين وباليان بن نيوزان[٦٥] ومما ورد فيه قول الأخير[٦٦]:

«أيها السلطان ، إعلم أننا فى هذه المدينة فى خلق كثير وإنما يفترون عن القتال رجاء الأمان؛ فإن رأينا أن الموت لابد منه فوالله لنقتلن أولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ، ولاتترككم تغنمون منا ديناراً ولادرهمًا ، ولاتسبون وتأسرون رجلاً أو امرأة، فإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى ، ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير، ولاتترك لنا دابة ولاحيوانًا إلا قتلناه ثم خرجنا إليكم كلنا، وحينئذ لايقتل الرجل منا حتى يقتل أمثاله وفوت أعزاء أو نظفر كرماء».

وأورد ابن العبرى هذا النص وفيه مالايخفى على فطنة القارىء الكريم من اعتزاز وتفاخر من الزعيم الصليبى، ودعاية للقوة الصليبية وتقليل من الانتصار الإسلامى ، وكأنى بابن العبرى قد جعل من نفسه أو من كتابه صورة دعائية لوجهة النظر الصليبية، وتعاطفًا مع أبناء عقيدته وتبريراً للظروف التى أدت إلى هزيمتهم. وهذا يتنافى مع الحيادية والموضوعية المطلوبتين فى المؤرخ عند معالجته أحداثًا تقوم على التباين الدينى كأحداث الحروب الصليبية.

لقد سجل ابن العبرى القواعد التى على أساسها تم استسلام الصليبيين[٦٧]، ولكنه تجاهل عن عمد عدداً من الحقائق أو المعلومات ذات الصلة باستعادة المسلمين لبيت المقدس، وبالرجوع إلى ابن الأثير[٦٨] وهو الأصل الذى نقل عنه ابن العبرى معلوماته السابقة نلحظ هذا التجاهل بالمعلومات المتصلة بإحدى السيدات الروميات من نساء ملوك الروم، وأيضًا المتصلة بملكة القدس، وكذلك ما يتصل ببطريرك الفرنج من معلومات.

ونخلص من هذه الجزئية أن ابن العبرى سجل حقائق وتجاهل أخرى سجل ما رأى فيه نقاطًا إيجابية للصليبيين، وتجاهل ما قد يحسب نقاطًا مضيئة للمسلمين ولقائدهم صلاح الدين الأيوبى؛ سجل استماتة الصليبيين فى القتال لأن هذه الاستماتة تحسب لهم، وسجل الحوار الذى أورده على لسان باليان لأنه رأى فيه عبقرية أقنعت صلاح الدين بقبول فكرة استسلام الصليبيين وتبريراً مقنعًا لهزيمتهم، وفى الوقت نفسه نراه يتجاهل التصرفات النبيلة التى

صلاح الدين إزاء الصليبيين وفى كل هذا منافاة للموضوعية التى يلزم أن يتحلى بها المعنى بالتأريخ والحيادية التى ينبغى أن ينهجها من يؤرخ للأحداث ويرصد تطوراتها.

أما عن موقف المؤرخين حول معركة عكا الذروة فيما يسمى بالحملة الصليبية الثالثة أو الرد الصليبى على انتصارات صلاح الدين الأيوبى، ففى نصوصهما عن هذه المعركة والمفاوضات التى أعقبتها يجد الباحث تشابهًا شديداً بين ما دونه ابن الأثير(٦٩) وما دونه ابن العبرى(٧٠) باستثناء كلمة «غدروا» التى أوردها ابن الأثير وكررها أكثر من مرة فى ثنايا المفاوضات التى جرت بين صلاح الدين وقادة الصليبيين تعبيراً عن عدم التزام الصليبيين بتعهدهم بعد تسلمهم عكا، وغدرهم بمن فيها من المسلمين ، وحذف ابن العبرى لهذه الكلمة يبرز تعاطفه مع إخوته فى العقيدة، وكأنه بذلك يريد أن ينفى عنهم صفة الغدر.

وإذا كان ما سبق عن موقف المؤرخين من الأحداث المتصلة بمملكة بيت المقدس، فمن المناسب التعرف على هذا الموقف من الأحداث المتصلة بأنطاكية، والنشاط الجهادى الذى بذله صلاح الدين ضد الصليبيين فى المناطق الشمالية.

٤- وفى هذا الصدد نجد أن ابن الأثير قد فصّل الحديث عن جهاد صلاح الدين وما بذله فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١١٨٨م) من نشاط حربى فى مواجهة الوجود الصليبى فى إمارة أنطاكية، وما ترتب عليه من استعادة معظم المدن والمواقع التابعة لأنطاكية والتى قال عنها ابن الأثير (٧١):

«وهى جميعها من أعمال أنطاكية ، ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودربساك».

هذا وقد استنفذ تأريخ ابن الأثير لهذه العملية الجهادية عدة صفحات زادت على سبع صفحات ، أما ابن العبرى فقد قفز على هذه الأحداث بحيث اختصرها فى سطر وثلاث كلمات فقط قائلاً(٧٢):

«وفى سنة أربع وثمانين فتح صلاح الدين جبلة واللاذقية وصهيون وشُغْرَبكاس ودربساك وبغراس والكرك وصفد».

ويغلب على الظن أن ابن العبرى قد لجأ إلى هذا الاختزال الشديد للأحداث كى لايبرز أو يؤرخ للعديد من الصور المؤلمة لهزائم الصليبيين فى أنطاكية ، وفى إطار هذا الاختزال تجاهل عبارة ابن الأثير التى اتخذت شكل إحصائية أو تقرير ختامى ، وكأنى بابن العبرى لايريد

لقلمه أن يسجل حالة التردى التى وصل إليها الصليبيون فى إمارة أنطاكية التى أمضى فيها حقبة من حياته .

٥- ومن الأحداث الهامة المتصلة بالحملة الصليبية ما يتعلق بالجهود التى بذلها صلاح الدين فى تحصين مدينة القدس فى مواجهة القوات الصليبية التى استهدفتها بعد الاستيلاء على عكا، وقد ترتب على هذا التحصين فشل المحاولات الصليبية اقتحام المدينة المقدسة، وقد أرخ ابن الأثير لهذا الأمر بدرجة مناسبة من التفصيل[٧٣] على حين تجاهل ابن العبرى الموضوع برمته، وهذا يتسق مع طريقته فى تجاهل النقاط السلبية بالنسبة للصليبيين، ومما يساعدنا فى هذا الاستنتاج أننا نجد ابن العبرى يؤرخ بتفصيل غير مسبوق[٧٤] عن نجاح الصليبيين فى معركة عكا، وذلك فى السطور التى تسبق مباشرة الحديث عن تحصين القدس، وهو بهذا ينتقى الأحداث التى يؤرخ لها بحيث تكون من النوع الذى يسجل انتصاراً أو غلبة للصليبيين ، أما تلك التى تفيد إخفاقًا أو فشلاً أو هزيمة لهم فإنه غالبًا ما يتجاهلها أو يسقطها من تأريخه ، وإذا وجد نفسه مضطراً إلى ذكرها فإنه يشير إليها إشارة عابرة أو بطريقة مختزلة يترتب عليها إخلال بالمعنى المقصود ، وهذا الأسلوب لايتوافق مع الحيادية والموضوعية اللتين يجب على المؤرخ التحلى بهما عند تدوين التاريخ.

أما آخر الأحداث الهامة المتعلقة بالحملة الصليبية الثالثة فهو صلح الرملة[٧٥] الذى ختمت به تلك الحملة، وعن هذا الحدث نجد أن ابن الأثير يؤرخ له بصورة مناسبة[٧٦] حيث أوضح أن المبادرة فى طلب الهدنة جاءت من جانب ملك انجلترا[٧٧] الذى دفعته ظروف متعددة إلى اتخاذ المبادرة؛ كما يبين ابن الأثير التنازلات التى قدمها ريتشارد قلب الأسد وأورد تفصيلات لها أهميتها بالنسبة للحدث فى ذاته، وهى أيضًا هامة بالنسبة لدارسى التاريخ إذ أنها تلقى مزيداً من الضوء على المفاوضات التى تمت بين الجانبين ، كما تعرفنا بوضعهما فى المواجهة العسكرية، ولعلى فى إبراز نص ابن الأثير حول الحدث المذكور ما يوضح ما ذهبت إليه ، يقول ابن الأثير[٧٨]:

«وسبب الصلح أن ملك إنكلتار لما رأى اجتماع العساكر ، وأنه لايمكنه مفارقة ساحل البحر، وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه، وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح وأظهر من ذلك ضد ما كان يظهره أولا...، فأعاد الفرنجى رسله مرة بعد مرة، ونزل عن تتمة عمارة عسقلان، وتخلى عن غزة والداروم والرملة».

وفى إطار تعليق ابن الأثير على الصلح، وعلى لسان الزعيم الصليبى باليان بن بارزان نقل ابن الأثير قوله لصلاح الدين[٧٩]:

«ما عمل أحد فى الإسلام ما عملت، ولاهلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة، فإننا أحصينا من خرج إلينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة ألف رجل، ما عاد منهم إلى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتهم أنت، وبعضهم مات، وبعضهم غرق».

ونتبين أهمية هذا النص الذى أورده ابن الأثير من أهمية الإحصاء الذى انفرد به عن ضخامة الخسائر البشرية التى تكبدها الصليبيون، وكانت السبب المباشر لطلبهم الصلح مع صلاح الدين .

ونلتفت إلى ابن العبرى فنجد أنه أرخ للصلح أو الهدنة فى سطر واحد فقط [٨٠]، ومن السهل على الباحث أن يدرك سر تجاهله للتفصلات المرتبطة بالهدنة سواء فى أسبابها أو فى نتائجها إذ أنها تفصيلات تبرز تغيراً لايستهان به فى موازين القوى لصالح المسلمين ، وإلا لما أقدم ريتشارد على التنازلات التى قدمها ، وهى تنازلات تتصل بالسيادة والأرض كما هو واضح من نص ابن الأثير.

٦- توفى صلاح الدين فى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وخمسمائة (فبراير ١١٩٣م) أى بعد حوالى ستة أشهر من عقد صلح الرملة ، وبعد وفاته تتابعت سلسلة من التطورات الداخلية فى دولة صلاح الدين ، كما جرت تطورات سياسية على الجانب الصليبى، ولايعنى البحث الذى بين أيدينا هذه أو تلك حتى جاءت سنة ستمائة من الهجرة (١٢٠٢-١٢٠٣م)، وفيها جرت أحداث الحملة الصليبية الرابعة، وهى الحملة التى أسفرت عن استيلاء الصليبيين على الإمبراطورية البيزنطية وبالتالى تأسيس نظام كاثوليكى[٨١] عمر حوالى ستين سنة.

أرخ ابن الأثير[٨٢] للحملة الصليبية الرابعة، وقدم فى ثنايا تأريخه معلومات مفيدة ، وكذلك أرخ ابن العبرى[٨٣] لهذه الحملة أيضًا، ولكن بدرجة تكاد تكون تفصيلية على غير عادته، ومن ذلك تأريخه للمعاملة القاسية التى عومل بها الناس على يد الصليبيين وزعمائهم، ولم يسلم من ذلك رجال الدين البيزنطيون، ولا كنيستهم آياصوفيا ولا أناجيلهم ولا صلبانهم.

صحيح أن ما أرخ ابن العبرى لمذبحة القسطنطينية قد نقله بصورة شبه كاملة عن ابن الأثير

وذلك على غير المألوف من هذ المؤرخ الذى تجاهل من قبل المذبحة التى ارتكبها الصليبيون مع مسلمى معرة النعمان ، وذلك على الأرجح كى لايجعل من نفسه شاهداً على جرائم إخوانه فى العقيدة، أما إذا تعلق الأمر بنصارى الشرق (الأرثوذكس)[٨٤]- وهو منهم- فسيكون الأمر مختلف تمامًا، وسيميل لصالحهم على حساب الصليبيين وهم (كاثوليك) ، ثم لاننسى أنه كان أحد رجال الدين النصارى ممن يحملون لكنيسة آيا صوفيا ورجال الدين النصارى فيها انتماءاً روحيًا وفكريًا وزمالة قديمة.

٧- أما عن الحملة الصليبية الخامسة فالعجيب تجاهل ابن العبرى هذه الحملة تجاهلاً يكاد يكون تامًا حيث أسقطها من مؤلفه وكأنها لم تكن [٨٥]، ولكن سرعان ما يزول هذا التعجب إذا عرفنا- - كما سبق أن أشرت- أنه قد تجاهل الحملة الصليبية الثانية، والقاسم المشترك بين الحملتين- وهو ما دعى ابن العبرى إلى الصمت عن تأريخ الحملة - هو الفشل الذريع الذى منيت به الحملتان، وعجز قادتهما عن تحقيق أى من الأهداف التى كانت مؤملة منهما.

والغريب فى الأمر أن ابن العبرى قد أرخ وبشىء من التفصيل[٨٦] المثير للانتباه للاجتياح المغولى لمناطق المشرق الإسلامى، وذلك ضمن أحداث سنة سبع عشرة وستمائة (١٢٢٠-١٢٢١م) ، فأرخ لسقوط بخارا، وكذلك سمرقند وغيرهما من مدن وأقاليم إسلامية علمًا أن الحملة الصليبية الخامسة امتدت أحداثها من أواخر سنة أربع عشرة وستمائة (١٢١٨م) إلى سنة ثمانى عشرة وستمائة (١٢٢١م) ، أى أن أحداث الاجتياح المغولى تقع زمنيًا مع أحداث الحملة الصليبية الخامسة.

وكما سبق أن أشرت فقد أرخ ابن العبرى ضمن أحداث سنة ثمانى عشرة وستمائة لنهاية الحملة ، وبالتحديد للانسحاب الصليبى من مدينة دمياط التى سبق أن استولى عليها فى السنة قبل الماضية ، وقد نقل ما دونه من معلومات عن ابن الأثير ، ولكنه حذف ما لم تقبله عاطفته الدينية، وبالذات فى إغفاله الإشارة إلى رهائن الصليبيين وكانوا عشرين من قادتهم فى مقدمتهم ملك عكا[٨٧] ونائب البابا [٨٨]، وأيضًا إغفاله ذكر حالة الفرح والابتهاج التى عمت المسلمين نتيجة لانسحاب الصليبيين ، ولتكون هذه المقارنة أكثر وضوحًا أورد ما قاله المؤرخين عن ذلك الانسحاب ، يقول ابن الأثير[٨٩]:

«وتمموا الصلح على تسليم دمياط، واستقرت القاعدة والأيمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ، انتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقمامصتهم إلى الملك الكامل والأشرف رهائن

على تسليم دمياط؛ ملك عكا، ونائب بابا صاحب رومية وكندريش وغيرهم وعدتهم عشرون ملكًا، وراسلوا قسوسهم ورهبانهم إلى دمياط فى تسليمها، فلم يمتنع من بها وسلموها إلى المسلمين... وكان يومًا مشهوداً».

**ويقول ابن العبرى (٩٠):**

«فأجابوا- يقصد الصليبيين - إلى الصلح على تسليم دمياط وإطلاق ما بأيديهم من أسرى المسلمين، وإطلاق ما بأيدى المسلمين من أسراهم، وقرر الصلح عامًا مع الدكاد نائب البابا، وملك عكا، وملوك فرنجة ومقدمى الداوية والاسبتارية».

ونظرة إلى النصين نلحظ أن عاطفة ابن العبرى الدينية لم تطاوعه فى تسجيل موقف مهين بالنسبة للصليبيين، كما لم تطاوعه فى تصوير ابتهاج المسلمين وفرحهم ، وبين هذا وذاك كان صمت ابن العبرى على حساب الحقيقة التاريخية والأمانة العلمية.

٨- ونقطع من الزمن حوالى ثمانية أعوام، وبالتحديد إلى منتصف سنة خمس وعشرين وستمائة (١٢٢٨م) حيث شهدت سواحل بلاد الشام بداية الحملة الصليبية السادسة(٩١)، وذلك بوصول مقاتلين من قوات الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى، وأهم ما يميز هذه الحملة أنها كانت هادئة ومع هدوئها حققت مكاسب مهمة على حساب المسلمين، وفى مقدمتها تسليم مدينة القدس للإمبراطور الألمانى ، وذلك فى الأول من ربيع الثانى من سنة ست وعشرين وستمائة (فبراير ١٢٢٩م) (٩٢).

لقد أرخ كل من ابن الأثير(٩٣) وابن العبرى(٩٤) للحملة الصليبية مع تباينهما فى ذلك من حيث التفصيل والإيجاز كما هى عادة المؤرخين، ويعنينا من هذا التأريخ تأريخهما لنتائج الحملة بصفة خاصة، والتباين الشديد بينهما فى هذه الجزئية بالذات رغم اعتماد ابن العبرى فى معلوماتها على ابن الأثير إلا أنه كان بعيداً جداً فى تفكيره وأهدافه ومضمون معلوماته عن ابن الأثير، الأمر الذى يعطينا مثالاً واضحًا على أهمية الفكر التاريخى لدى المؤرخ، وأهمية الصياغة فى التعبير عن هذا الفكر (أهدافه ومراميه) ، ولأهمية ما أرغب توضيحه فى هذه المقارنة بالذات أورد نصى المؤرخين عن هذه الجزئية، ومن ثم أعلق عليهما، وأرغب من القارىء الكريم التدقيق جيداً فى النصين والتوقف عند كل كلمة فيهما.

**يقول ابن الأثير:**

«فلما اجتمعا (يريد الملك الكامل الأيوبى وأخاه الملك الأشرف) ترددت الرسل بينهما وبين الأتبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة، فاستقرت القاعدة على أن يسلموا إليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده، ويكون باقى البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وملطية وغير ذلك بيد المسلمين، ولايسلم للفرنج إلا البيت المقدس والمواضع التى استقرت معه».

ويقول ابن العبرى:

«وفى سنة خمس وعشرين وستمائة ترددت الرسل بين الفرنج والملك الكامل فى طلب الصلح فاتفق على تسليم البيت المقدس إلى الفرنج فتسلموه ومواضع كثيرة أخر من بلاد الساحل، وإنما أجابهم الكامل لما رأى من كثرة عساكرهم وإمداد البحر لهم بالرجال والأموال ، فخاف على بلاده أن تؤخذ عنوة فأرضاهم بذلك».

نصان قصيران ولكنهما يكشفان للباحث عن حقيقة خطيرة ، فإلى جانب عدم دقة ابن العبرى فى تحديد سنة الصلح وجعلها سنة خمس وعشرين وستمائة وهى سنة ست وعشرين وهذا مأخذ له أهميته، فهو أيضًا قد عمد إلى التزييف بل إلى قلب الحقائق رأسًا على عقب ، وليس هذا الحكم من باب التحامل على ابن العبرى ، فما أردته من إيراد النصين وتدقيق القارئ الكريم فيهما وفى كلماتهما إلا لتأكيد هذه الحقيقة.

إنه من خلال نص ابن الأثير والذى أيدته المصادر الصليبية[٩٥] نعرف أن الذى تم التنازل عنه هو بيت المقدس ومواضع يسيرة لا تذكر، وأن عدة بلدات مثل الخليل ونابلس والغور قد بقيت بأيدى المسلمين، بل وفوق ذلك فإن الحرم القدسى بما حواه من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى قد بقيا تحت السيادة الإسلامية.

غير ابن العبرى لم يرق له حجم هذه التنازلات، فجاءت عبارته «فتسلموه ومواضع كثيرة أخر»، ومن أجل إحكام التضليل والتزييف أضاف عبارة من بلاد الساحل، وفرق كبير بين الحقيقة ومقصد ابن العبرى.

هذه ناحية، وناحية أخرى يبرز من خلالها التزييف المتعمد من ابن العبرى، وتتمثل فى إظهار أى الجانبين كانت ظروفه أشد ضغطًا عليه ودفعًا له إلى طلب الصلح، فإبن العبرى ودون لبس يصرح أن الكامل إنما أجابهم لما رأى من كثرة عساكرهم وإمداد البحر لهم بالرجال... على حين أن ابن الأثير وبوضوح أيضًا لم يشر إلى هذه الناحية، بل ما ألمح إليه هو تحسن

الوضع العسكرى للملك الكامل فى الفترة الأخيرة عنه مع بداية الحملة، وقد برز هذا التحسن بعد مؤازرة أخيه الملك الأشرف له فى مواجهة الصليبيين.

وإضافة إلى هذا تبرز مصادر أخرى إسلامية وغير إسلامية ضعف موقف الإمبراطور الألمانى وأن الوقت ليس فى صالحه والضغوط تزداد عليه، وأنه ليس لديه القوة الكافية التى يستطيع بها تحقيق أى انتصار ولو كان هزيلاً على المسلمين .

يقول رنسيمان [٩٦]:

«على أن فردريك تعرض للضغط فترة من الزمن ، ولم يكن جيشه من الكثافة ما يكفى للقيام بحملة كبيرة».

وما أشار إليه رنسيمان تحدث عنه عدد من المؤرخين المسلمين[٩٧] بدرجة جيدة من التفصيل والوضوح، والنص على تسليم القدس، وأن تبقى خرابًا ولايجدد سورها، وعليها والٍ من المسلمين يكون مقره البيرة، وأن الحرم الشريف بما حواه من قبة الصخرة والمسجد الأقصى يكون بيد المسلمين، ولايدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، وأن ما حصل عليه الفرنج إضافة إلى القدس مجموعة قرى معدودة تقع فى الطريق بين عكا والقدس كى لاتكون مصدر تهديد للعابرين من الصليبيين بين المدينتين.

وأعتقد أن صلحًا هذه شروطه أو بنوده ليس فيه من المكاسب سوى الحد الأدنى منها، وما أوردته المصادر الإسلامية من تفصيل حول شروط الصلح ليس تعاطفًا منها مع الكامل الأيوبى لأن أصحابها مسلمون لايستبعد تعاطفهم معه بل هى الحقيقة التاريخية التى نقلتها تلك المصادر بكل أمانة وصدق ، ومع هذا يمكن حسم مثل هذا الاتهام لو حدث من خلال الوثيقة التى أخذت شكل خطاب استعطاف بعث به الإمبراطور الألمانى إلى الكامل الأيوبى فى بعض مراحل المفاوضات، وأنه يكشف بوضوح وصراحة أن حاجة الإمبراطور إلى الهدنة كانت تفوق بكثير حاجة الكامل الأيوبى إليها، كما يكشف عن حرج موقف الإمبراطور أمام شعبه وأمام البابوية التى أصدرت بحقه قرارى حرمان ، وسمحت بالاعتداء على ممتلكاته ؛ ومما جاء فى هذا الخطاب [٩٨]:

«وأنا مملوكك وعتيقك، وليس لى عما تأمره خروج، وأنت تعلم أنى أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامى وطلوعى ، فإن رجعت خايبًا انكسرت حرمتى بينهم ، وهذا القدس

فهى أصل اعتقادهم وضجرهم، والمسلمون قد أخربوها فليس لها دخل طائل ، فإن رأى السلطان أن ينعم على بقبضة البلد والزيارة فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسى بين ملوك البحر».

ونخلص مما سبق إلى القول بأن ابن العبرى قد عمد إلى تشويه الحقائق وتزييفها ، وهذا يدفع إلى عدم الثقة فى تأريخه لبعض الحوادث ولاسيما تلك التى تمس عواطفه الدينية.

## خامسًا : المؤرخان والأحداث الثانوية:

إيفاءً بمتطلبات منهجية البحث يلزم أن نتعرف على موقف المؤرخين المذكورين بالنسبة لعدد من الأحداث الثانوية، حتى وإن جاءت المعطيات خفيفة الدلالة فيما نحن بصدده فاليعذر القارىء الكريم ذلك رغبة فى استيفاء كافة المواضع التى تتحقق من خلالها عناصر المقارنة المطلوبة بين المؤرخين، ويؤيد هذه الرغبة توفر أحداث عديدة منها ما يتصل بالفترة السابقة على صلاح الدين، ومنها ما يتصل بالفترة الأيوبية جمعتها من وجهة نظرى صفة الثانوية من حيث الأهمية، وأعلق عليها معتمداً على تسلسها الزمنى.

١- الحدث الأول يتعلق بالفاطميين ودورهم فى إثارة الحروب الصليبية، وإذا كان ابن الأثير قد أبان شكه وعدم تأكده من حقيقة هذا الدور [٩٩]؛ فإن ابن العبرى قد تجاهل هذه الإشارة وأعرض عنها ، وقد يكون بهذا محقًا حيث رأى أن ابن الأثير قد أورد هذا الحدث فى إطار الشك مبتدءاً حديثه بكلمة (وقيل)، ومختتما إياه بكلمة (والله أعلم) ، ولعل هذا الشك هو ما دعى ابن العبرى إلى تجاهل الحدث وعدم التأريخ له.

٢- الحدث الثانى هو حقيقة تعهد قادة الحملة الصليبية الأولى للإمبراطور البيزنطى [١٠٠]، والمتمثل فى حلفهم له أن يسلموا إليه أنطاكية ، وهو التعهد الذى أوردته المصادر الصليبية[١٠١].

فإبن الأثير قد أورد هذا التعهد فى قوله عن الإمبراطور البيزنطى[١٠٢]:

«لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لى أنكم تسلمون إلى أنطاكية».

أما ابن العبرى فقد أغفل الإشارة إلى هذا التعهد[١٠٣]، وهذا الإغفال مستغرب منه بحكم نصرانيته الشرقية الأرثوذكسية ، وانتمائه الدينى والعاطفى لها ضد الغربية الكاثوليكية.

٣- أما الحدث الثالث فعن استيلاء الفاطميين على بيت المقدس فى شعبان من سنة تسع وثمانين وأربعمائة (١٠٩٦م) فى أجواء الحملة الصليبية الأولى، وهو الحدث الذى أوردته مصادر كثيرة إسلامية وغير إسلامية ومن بينها ابن الأثير[١٠٤] وابن العبرى [١٠٥]، وإذا كان هذا الأخير قد أرخ للحدث بألفاظ ابن الأثير تقريبًا ، ومع أنه قد جعل تاريخ هذا الحدث سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وما فى ذلك من خلل منهجي وعدم دقة فى تتبع الأحداث، فالتساؤل الذى يرد هو لماذا أرخ ابن العبرى للاستيلاء الفاطمى على بيت المقدس فى الوقت الذى تجاهل فيه الإشارة إلى تعهد القادة الصليبيين على أنفسهم للإمبراطور البيزنطى؟ ويستطيع البعض أن يجب على هذا التساؤل بأن الاستيلاء الفاطمى على بيت المقدس حدث بارز عرفه الجميع بينما التعهد كان محصوراً فى دائرة ضيقة ، وقد يفسر آخرون موقف ابن العبرى من الحدثين بأنه أرخ للحدث الذى يوضح حالة العداء والانشقاق بين المسلمين فى حين تجاهل الحدث الذى يبرز حالة العداء بين النصارى، وكذلك التعهد الذى قطعه قادة الصليبيين على أنفسهم، وفى حالة عدم وفائهم به يعنى نقطة قاتمة فى تاريخهم ، وهو لايريد لمثل هذه النقاط أن تظهر وإن ظهرت فلا يكون ظهورها من قبله.

٤- ومن الأحداث الثانوية وقوع حاكم الرها الصليبى القمص بردويل (بلدوين)[١٠٦] فى أسر المسلمين سنة سبعة وتسعين وأربعمائة (١١٠٤م)، ثم إطلاق سراحه فى سنة اثنتين وخمسمائة (١١٠٨م)، وعن الحدث بشقيه نجد أن ابن الأثير[١٠٧] قد أرخ له بينما ابن العبرى تجاهل الحديث عنه ، وليس مقبولاً أن يقال إن عدم إشارة ابن العبرى إلى الحدث ناتج عن عدم معرفته وهو الناقل من ابن الأثير أولاً ولأهمية الحدث ثانيًا وكون الحدث على درجة كبيرة من الأهمية، وارتباطه بأكثر من سنة وبعدد من قادة الصليبيين من ناحية ثالثة، وفى ضوء هذه الاعتبارات فإن الأقرب إلى القبول هو أن ابن العبرى تجاهل الخبر لأنه يمثل نقطة قاتمة فى تاريخ الصليبيين، وليس لهذا التجاهل من تبرير آخر يمكن الاطمئنان إليه.

٥- ومن الأحداث الثانوية المرتبطة بسنة ثلاث وخمسمائة (١١٠٩م) استيلاء طنكرى[١٠٨] حاكم أنطاكية الصليبية على عدد من الثغور الإسلامية فى بلاد الشام، وقد أرخ ابن الأثير[١٠٩] وبدرجة مقبولة من التفصيل لهذا الاستيلاء ضمن أحداث السنة المذكورة والسنة التالية، وقد التفت ابن العبرى[١١٠] هو الآخر لهذا الأمر، وتحدث عنه بصورة موجزة تتفق وطبيعة تأريخه ، وطالما أنه يمثل انتصاراً صليبيًا وهزيمة للمسلمين ، ففيما بين كلمات النص

الذى تضمن الحدث يلمس القارىء غبطة ابن العبرى وفرحه لهذا الانتصار، وحرصه على إبراز ضعف المسلمين سواء كانوا من أتباع السلطنة السلجوقية أم الخلافة الفاطمية.

٦- ومن أحداث السنة المذكورة وسنتى خمس وخمسمائة وست وخمسمائة الحملات الحربية التى قادها مودود[١١١] حاكم الموصل بدعم وتوجيه من السلطان السلجوقى[١١٢] ضد مدينة الرها وتوابعها ، فعن هذه الحملات[١١٣] نجد أن مؤرخينا لم يؤرخا للحملة الأولى فى سنة ثلاث وخمسمائة (١١١٠م)، وانفرد ابن الأثير فى التأريخ[١١٤] للحملة الثانية فى سنة خمس وخمسمائة مبرزاً إخفاق المسلمين فى استعادة المدينة، وانسحابهم منها لملاقاة الصليبيين الذين تجمعوا للدفاع عنها. أما عن الحملة الثالثة فى أول السنة التالية، فإضافة إلى تأريخ ابن الأثير لها[١١٥] نلاحظ أن ابن العبرى لم يغفل التأريخ[١١٦] لهذه الحملة لأن فيها انتصاراً صليبيًا على المسلمين، وما تأريخه لها إلا انسجامًا مع عاطفته الدينية التى بادرت إلى تسجيل الانتصار الذى حققه الصليبيون على المسلمين ، وهذا واضح جداً فى أمر هذه الحملات، فالنجاحات التى حققها المسلمون فى الحملتين السابقتين رغم فشلهم فى استعادة المدينة لاتستحق من ابن العبرى الرصد والتأريخ حتى ولا الالتفات والإشارة إليهما دون نجاحاتهما ، ولامبرر لهذا عند ابن العبرى سوى ما ذكر من أن عاطفته الدينية وفرحه لتحقيق أى انتصار على المسلمين سببان كافيان فى نظره للتأريخ ورصد الأحداث بدلاً من الأمانة والحيادية .

٧- فى سنة سبع عشرة وخمسمائة (١١٢٣م) استولى بلك بن بهرام بن أرتق[١١٧] على حلب بهدف دعم الجهاد الإسلامى فى مواجهة التوسع الصليبى، وفى السنة التالية استشهد وهو محاصر لمنبج، فعن هذين التطورين نجد كلاً من ابن الأثير وابن العبرى[١١٨] يؤرخان لهما حسب منهجيتيهما فى التفصيل لابن الأثير والإيجاز لابن العبرى، ولكن بالنسبة للحدث الثانى نلحظ أن ابن العبرى من خلال مقارنة نصه بنص ابن الأثير عن ذات الحدث قد تجاهل الجزئيات المتصلة بالصليبيين ، وعلى الأرجح أنه حرص على هذا التجاهل لأن الهزيمة لحقت بهم، وهو لايريد لقلمه أن يسجل انتكاستهم، وهذا يعنى أنه جعل عواطفه أو ميوله تتحكم فى تأريخه للأحداث ، وما يتبع ذلك من مجافاة للموضوعية والحيادية.

٨- وبعد سنتين أى سنة عشرين وخمسمائة (١١٢٦م) استشهد قسيم الدولة آقسنقر البرسقى[١١٩] حاكم الموصل ، وقد أرخ لهذا الحدث كل من ابن الأثير[١٢٠] الذى ألحق به

تفصيلات عديدة لها فائدتها ، وكذلك ابن العبرى [١٢١]، ولكنه لم يلق بالاً للتفصيلات التى أوردها ابن الأثير- خصوصًا وأنه ينقل عنه- عدا جزئية واحدة يبدو أنها راقت له واتفقت مع ميوله، وهى المتعلقة بالصليبيين، ومعرفتهم خبر استشهاد قسيم الدولة قبل معرفة ولده عز الدين مسعود[١٢٢] بذلك.

وللباحث أن يتساءل عن حقيقة الدوافع التى دعت ابن العبرى إلى اختيار هذه الجزئية دون الجزئيات الأخرى التى ألحقها ابن الأثير بخبر استشهاد البرسقى ، وأظنه ليس من قبيل المجازفة أن أقول بأن الدوافع تتلخص فى إعجاب ابن العبرى بالصليبيين ومهارتهم فى التجسس أو تصيد الأخبار، وهو ما لم يكن متوفراً للمسلمين، وهذا بدوره يؤكد انسياق ابن العبرى وراء عواطفه وميوله الدينية.

٩- وعن استشهاد عماد الدين زنكى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة (١١٤٥م)، فقد أرخ مؤرخانا[١٢٣] لهذا الحدث، وكما هى عادة ابن العبرى فقد استقى معلوماته عن ابن الأثير، وأيضًا استخدم مفرداته وعباراته، وفوق كل ذلك استخدم جمله الاعتراضية، وفى إطار هذا التقيد الشديد حذف كلمة واحدة لم تطاوعه عواطفه على ذكرها ، وهى كلمة الشهيد التى أوردها ابن الأثير صفة لعماد الدين، وأسقطها ابن العبرى ، وجاء هذا تعبيراً عن ما كان يكنه من عدم ارتياح أو بغض لعماد الدين ، وما ذلك إلا لأن عماد الدين قد وجه إلى الصليبيين العديد من الضربات .

ونلحظ أيضًا أنه اختلف مع ابن الأثير فى توقيت هذا الحدث فجعله قبل سنة من حدوثه أى فى سنة أربعين وخمسمائة (١١٤٤م)، ولامبرر لهذا الاختلاف ، فإن لم يكن سقط نظر من ابن العبرى ، فهو بالتأكيد مثال على موقفه السىء من الشهيد عماد الدين وسوء نظرته وعدم ارتياحه له.

١٠- ومن الأحداث المرتبطة بسنة أربع وأربعين وخمسمائة (١١٤٩م) غزو نور الدين محمود لإمارة أنطاكية ، فقد غزاها مرتين حقق فيهما انتصارين كبيرين، وبالنظر إلى مؤرخينا نجد أن ابن الأثير قد أرخ للغزوتين بشىء مناسب من التفصيل[١٢٤] أما ابن العبرى فنجده يؤرخ فقط للغزوة الأولى[١٢٥] متجاهلاً الثانية، ويبدو أن تجاهله لها ارتبط بروعة الانتصار الذى تحقق فيها لدرجة الإشادة الكبيرة من الشعراء، وهنا يبرز تحكم ميول ابن العبرى فى رؤيته للأحداث وفى تأريخه لها.

١١- وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (١١٥٧م) تملك نور الدين محمود حصن شيزر[١٢٦]، وبالنظر إلى ابن الأثير نراه يؤرخ لهذا التطور بدرجة جيدة من التفصيل [١٢٧]، وأبرز العامل الأساسى فى حرص نور الدين على تملك شيزر، وهو اتصال أصحاب الحصن بالصليبيين وتعاونهم معهم مما يعنى عقبة فى المخططات الجهادية لنور الدين، كما أرخ أيضًا للحدث الذى زامن هذا التطور ، وأعنى به الزلزلة التى دمرت كثيراً من المدن الشامية، ومن بينها حصن شيزر .

أما ابن العبرى والذى نقل معلوماته عن ابن الأثير، فنراه يؤرخ للزلزلة والأضرار التى اقترنت بها[١٢٨] دون أن يلتفت إلى التطور الذى جرى فى حصن شيزر ، وهو بهذا يعبِّر بطريقة غير مباشرة عن كراهيته لما حدث ، وعدم رضاه للنتائج المترتبة عليه، وما فيها من أضرار بالمصالح الصليبية.

١٢- ومن أحداث سنة تسع وخمسين وخمسمائة (١١٦٤م) تدخل كل من نور الدين والصليبيين فى شؤون مصر الفاطمية، وملحظ تأريخ ابن الأثير[١٢٩] لإحدى مراحل هذا الصراع وبدايات هذا التدخل ، وتابعه فى ذلك ابن العبرى [١٣٠]، ولكن بإيجاز يتفق وطبيعة كتابه.

ومن أحداث السنة المذكورة انتزاع نور الدين لحصن حارم[١٣١] وقلعة بانياس[١٣٢] وهما الحدثين اللذين أرخ لهما ابن الأثير[١٣٣] وأبرز قيمتهما فى إرغام الصليبيين على الانسحاب من مصر، أما ابن العبرى فقد تجاهلهما تمامًا، وهذا التجاهل تعبير عن عدم رضاه على الانتصار الإسلامى والهزيمة الصليبية، والتطورات التى أعقبت ذلك، وبالذات الخسائر التى لحقت بالصليبيين نتيجة ضياع الموقعين ، وعدم تأريخ ابن العبرى لما فيه قوة للمسلمين وانتصار لهم أحد الأمثلة العديدة التى يبين فيها كرهه للمسلمين وتعاطفه مع الصليبيين ، وهو ما أملته عليه عواطفه الدينية.

١٣- وعن تأريخ الحملة الصليبية الخامسة على مصر سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٦٨-١١٦٩م) ونجاح المقاومة الإسلامية بقيادة صلاح الدين فى صدها وإلحاق هزيمة قاسية بالصليبيين ، فقد أرخ ابن الأثير لتفاصيل هذه الحملة[١٣٤]، وبيَّن الرابطة بين هذه الحملة ونجاح قوات نور الدين فى السيطرة على مصر فى تاريخ سابق، وقد قام بتغطية جيدة للحدث وتطوراته اللاحقة حتى نهاية الإخفاق الصليبى وهزيمتهم، ومن ثم انسحابهم من مصر.

أما ابن العبرى فكما هى عادته غالبًا فقد تجاهل الحملة، ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد، ولايفسر تجاهل مؤرخ لحدث له أهميته فى التاريخ عمومًا وفى تاريخ الفترة خصوصًا إلا لأسباب ذاتية تتعلق بالمؤرخ نفسه، إذ كيف تطاوعه نفسه، ويوافقه قلمه على تسجيل الهزيمة لإخوانه فى العقيدة، وهى شر هزيمة عبَّر عنها ابن الأثير بقوله :

«رجعوا خائبين لم يظفروا بشىء ، ووجدوا بلادهم خرابًا ، وأهلها بين قتيل وأسير».

وهذا يعنى أن ابن العبرى لم يتخلص من عواطفه وميوله وأحقاده على المسلمين وبغضه لهم وجزعه من انتصاراتهم، مما جعله يقف وبكل وضوح مع المعسكر الصليبى ضد المسلمين.

١٤- ومن الأحداث الثانوية المقايضة التى تمت بين صلاح الدين وعماد الدين زنكى[١٣٥] ضمن جهود الأول فى توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، وسبق أن ذكرت بأن مؤرخينا قد أرخا لهذه المقايضة ، وأوردت نصيهما فى هذا الشأن [١٣٦] ، والذى نلحظه من نص ابن الأثير أنه سفَّه فى جزئية منه قبول عماد الدين لهذه المقايضة ، ونقل ابن العبرى هذا التعليق بألفاظه من ابن الأثير، ومعروف أن هذا الأخير كان يميل إلى البيت الزنكى ويتعاطف مع ذرية عماد الدين مؤسس هذا البيت ، ويرى أن صلاح الدين لم يتعامل معهم بالمستوى اللائق الذى كان يجب عليه ويستحقونه ، نظرًا لأن كبير البيت الزنكى ومن بعده ابنه نور الدين هما صاحبا الفضل فى إقامة الدولة الأيوبية، لذا نجد فى تأريخه غمزات وإشارات ذات دلالة على هذا الموقف من ابن الأثير والمقايضة التى تمت، وتقبيحه لها يمكن أن تندرج فى هذا الإطار .

وابن العبرى - الذى ينقل عن ابن الأثير- يحرص على أن يؤرخ لمثل هذه الأحداث التى تظهر الانقسام بين المسلمين وقادتهم ، وتحط من شأنهم وشأن صلاح الدين بصفة خاصة، وهذا ليس لأنه ينقل عن ابن الأثير كل شىء، ولكن لأنه يختار ما ينقل وفق مزاجية مرتبطة بعقيدته وبميوله وعاطفته من ناحية، ولأنه باستيلاء صلاح الدين على حلب يكتمل طوق الحصار حول الصليبيين من ناحية ثانية، وفى هذا تفوق حاسم لصلاح الدين عليهم، وهذا مالايستسيغه ابن العبرى ولايطمئنه ولايرضيه وهو المتعاطف مع الصليبيين.

١٥- ومن أحداث سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة (١١٨٦م) ما أقدم عليه أرناط[١٣٧] حاكم الكرك من نقضه الهدنة[١٣٨] التى كانت معقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس الصليبية، وهو ما شكل السبب المباشر للتطورات التى وقعت فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)، وأبرزها معركة حطين التى انتصر فيها المسلمون ، وانتزعوا بيت المقدس من

الصليبيين، فقد أرخ ابن الأثير لتصرف أرناط تفصيل مناسب ، وذلك تحت عنوان (غدر أرنـــاط) [١٣٩]، أما ابن العبرى فقد تجاهل هذا الحدث تمامًا رغم أنه أرخ لأحداث أقل شأنا وقعت فى السنة نفسها أوفى السنة السابقة عليها[١٤٠].

١٦- ومن الأحداث المتصلة بسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) استعصاء مدينة صور[١٤١] على صلاح الدين وجنوده حين حاول فتحها، فقد أرخ مؤرخانا للحدث[١٤٢] ناقلاً ابن العبرى التفصيلات التى أوردها ابن الأثير فى هذا الشأن .

١٧- ومن أحداث سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١١٨٨م) الهدنة التى وافق صلاح الدين على عقدها مع حاكم أنطاكية الصليبية[١٤٣]، فقد أرخ لها كل من ابن الأثير[١٤٤] وابـــن العبرى[١٤٥]، ولكن فى الوقت الذى يوضح فيه ابن الأثير أن المبادرة فى ذلك جاءت من قبل الحاكم الصليبى، تلحظ أن ابن العبرى يبدأ نصه لهذا الحدث بقوله : «وهادن صلاح الدين»، فكأنه يحيل المبادرة بالهدنة إلى صلاح الدين دون أن يوضح التطورات التى مهدت لها، وجعلت حاكم أنطاكية يبادر إلى عقدها مع صلاح الدين، وهذا ينسجم مع أسلوب ابن العبرى فى إظهار القوة الصليبية وتفوقها على المسلمين.

ومن أحداث السنة ذاتها موقف صقلية وملكها وليم الثانى[١٤٦] من انتصار حطين، وهزيمة الصليبيين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م)، ففى الوقت الذى يؤرخ فيه ابن الأثير[١٤٧] لهذا ضمن أحداث سنة خمس وثمانين وخمسمائة (١١٨٩م) نجد أن ابن العبرى يتجاهله ولايشير إليه ولو بعبارة مقتضبة ، ولعل مرد هذا التجاهل هو أن قوات صقلية لم تحقق نجاحًا يذكر ضد القوات الإسلامية.

١٨- ومن الأحداث الثانوية المرتبطة بسنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٧م) انتزاع الملك العـــادل الأيوبى[١٤٨] مدينة يافا من الصليبيين ، وتمكن الصليبيين من السيطرة مؤقتا على بيروت، وقد أرخ ابن الأثير[١٤٩] لهذه التطورات وبتفصيل مناسب أوضح فيه أن الصليبيين بعد أن أخذوا بيروت رحلوا عنها كى يدافعوا عن صور التى هاجمتها القوات الإسلامية، وهذا يعنى أن أخذ الصليبيين لبيروت كان مؤقتًا حيث استعادها المسلمون بعد وقت قصير؛ أما ابن العبرى فيؤرخ[١٥٠] وبصورة مقتضبة جداً لبعض هذا الحدث دون تطوراته، فيذكر استعادة يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين، وهذا يعنى أنه تجاهل بقية الخبر أى عودة بيروت للسيادة الإسلامية، وهذا نوع من التحريف لم يجد ابن العبرى غضاضة فى ارتكابه انسياقًا وراء عواطفه الدينية وميوله للصليبيين.

## سادسا : الخلاصة :

من خلال المقارنة السابقة يمكننى تحديد قاعدتين أساسيتين توضحان منهجية ابن العبرى مقارنة بمنهجية ابن الأثير وذلك على النحو التالى:

أولاً: يمكن أن نصف ابن الأثير بأنه مؤرخ شامل إذ أنه غطى كل أو معظم الأحداث التى تجمعت لديه وذلك فى إطار الترتيب الزمنى، والأحداث التى أعنيها تشمل الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية سواء فى ذلك ما يتصل بالدول والأسر الحاكمة، وأيضًا ما يتصل بالأفراد، ولاسيما النابهين منهم هذا بالنسبة لابن الأثير.

أما بالنسبة لمعاصره ابن العبرى فإنه على العكس من ذلك فى كثير من الأمور إذ يمكن وصفه بأنه مؤرخ انتقائى ، ينتقى أحداثًا بعينها ويؤرخ لها دون النظر إلى أهميتها ، وهذا يعنى أن تكون بعض الأحداث التى انتقاها وأرخ لها أقل أهمية من أحداث أخرى تجاهلها أو لم يعتن بها.

ثانيًا : تحلى ابن الأثير بدرجة عالية من الموضوعية والشجاعة حينما أرخ لأحداث تبدو مؤلمة بالنسبة له كونه مسلمًا ، وأبلغ مثال على ذلك تأريخه للنكسات التى منى بها المسلمون فى الصراع الدائر بينهم وبين الصليبيين ، وكذلك تأريخه للاجتياح المغولى لأقطار المشرق الإسلامى، وهذه خاصية إيجابية تحسب لابن الأثير وتجعله مصدراً موثوقًا به، كما تؤخذ فى الاعتبار عند تقييم ابن الأثير.

أما ابن العبرى فلم يكن يتحلى بهذه الخاصية؛ بل على العكس من ذلك آثار التجاهل أو الصمت إزاء الأحداث التى لم ترق له، أو كانت مؤلمة بالنسبة له بوصفه نصرانيًا، وأبرز الأدلة على ذلك تجاهله لسقوط إمارة أنطاكية الصليبية سنة ست وستين وستمائة للهجرة (١٢٦٨م)، وكان عمره وقتها يزيد على الأربعين سنة ، أى أنه كان ناضجًا فكريًا وعلميًا، واقتربت شخصيته كمؤرخ من الكمال، وفوق هذا وذاك ما هو معروف من أنه أمضى فى أنطاكية سنوات هامة من فترة شبابه.

ومع كل هذه الاعتبارات تجاهل ابن العبرى الحدث، ولم يؤرخ له، ولم يكن من تفسير لذلك سوى رضوخه لشعوره الدينى، وحزنه على سقوط السيطرة الصليبية على إمارة أنطاكية واستعادة المسلمين لها.

ومثل هذا الحدث ليس بالأمر السهل فهو ليس حدثًا ثانويًا ، بل هو بالغ الخطورة والأهمية فى تطورات الأحداث والصراع الدائر بين المسلمين والصليبيين بصفة خاصة، وابن العبرى الذى التزم الصمت إزاء حدث من هذا النوع أو تجاهله، نراه يؤرخ للاجتياح المغولى لأقاليم المشرق الإسلامى، ويسارع إلى تأريخ الاستيلاء المغولى لبغداد(١٥١) سنة ست وخمسين وستمائة هجرية (١٢٥٨م) وبتفصيل غريب يخالف منهجه وأسلوبه في تأليف الكتاب.

وليس لهذا من تفسير أمام الباحث أو المتفكر لموقف ابن العبرى سوى القول إن عاطفته الدينية قد تحكمت فيه وأثّرت عليه ودفعته إلى نوع من التشفى من المسلمين ومن خلافتهم العباسية، وببساطة شديدة فإن تجاهل أحداث والتركيز على أحداث أخرى يعنى الافتقار إلي الموضوعية والحيادية اللتان تستدعيان من المؤرخ أن يرتفع بعواطفه وميوله عن التأثر بالأحداث سواء بالسلب أو الإيجاب .

هاتان هما القاعدتان الأساسيتان اللتان يمكن من خلالهما التفريق بين منهجيتى المؤرخين ابن الأثير وابن العبرى ، وفى إطارهما ورغبة فى معرفة مزيد من التفصيل عن منهجية ابن العبرى التأريخية يمكن تقديم العناصر الآتية (١٥٢):

١- تاريخ ابن العبرى بما حواه من معلومات لايرضى نهم الباحث المتخصص ولايشفى غليلاً له، ولاميزة أو سمة يختص بها عن غيره من المصادر التاريخية، ومؤلفه بمعاصرته للأحداث ومهنته وصلاته الشخصية لم يستثمرها فى تدعيم الثقة فى الكتاب وإثراء معلوماته وإكسابه شخصية مستقلة.

٢- نقل ابن العبرى عن ابن الأثير القسم الأكبر من معلوماته، ويلحظ الباحث أنه نقل حرفى أو يكاد يكون حرفيا ودون تغيير.

٣- نقل ابن العبرى عن ابن الأثير، ولكن مع حذف جزئيات أو كلمات لاتتوافق مع عاطفته الدينية وميوله نحو الصليبيين .

٤- التباين الكبير فى مستوى المعالجة التأريخية لدى ابن العبرى ، وذلك لأمر ما فى ذهنه أو تأثراً بعاطفته وفكره الدينى، والمثال الصارخ على هذا التباين تأريخه لجولتى الصراع الذى خاضه الصليبيون من أجل الاستيلاء على أنطاكية، فمعالجة من سطر واحد للجولة الأولى تتباين كثيراً مع معالجة من أربعة عشر سطراً للجولة الثانية ،

وكذلك تأريخه لمذبحة القسطنطينية التى أوقعها الصليبيون ضد النصارى الأرثوذكس ، فى حين يتجاهل مذبحة معرة النعمان التى ارتكبها الصليبيون ضد مسلمى هذه البلدة، وهذا تباين حاد فى مستوى المعالجة تتصل بالمنهجية التى سار عليها ابن العبرى فى نظرته للأحداث من ناحية، وفى تأليف كتابه من ناحية ثانية وفرق كبير بين الإيجاز الشديد والمخل أحيانًا وبين الإسهاب المفرط فى أحيان أخرى، وهذه الملحوظة تنسحب على كثير من الأحداث التى عالجها، كما تنسحب زيضآ على تركيزه على قضايا معينة وتجاهله لقضايا أخرى.

٥- يلجأ ابن العبرى إلى التغاضى أو التجاهل المتعمد بالنسبة لأحداث بعينها، وهذا خلل خطير فى منهجية المؤرخ وأمانته وصدقه مع نفسه ومع الآخرين.

٦- يفتقر ابن العبرى إلى التوازن فى نقل المعلومات ، وتتضح هذه السلبية فى تأريخه لمرحلتى إسقاط الرها الصليبية واستعادتها ، ولاسيما أنه نقل المعلومات الخاصة بالمرحلتين عن ابن الأثير.

٧- يؤخذ على ابن العبرى صمته التام إزاء أحداث رئيسة وجوهرية، وهذا يعنى أن تأريخ ابن العبرى أو شهادته للأحداث- وهو المعاصر لها- يشوبها قدر كبير من عدم الأمانة والصدق ، وهما يقتضيان قول الحقيقة حتى مع النفس، وما صمته عن الحملة الصليبية الثانية التى منيت بالفشل الذريع ، وسكوته عن معركة حطين التى تجاهلها تامًا مع أنها واحدة من أخطر وأهم الأحداث فى تاريخ الحروب الصليبية ، إلا دليلاً على أن ابن العبرى قد انجرف وراء عواطفه الدينية وميوله النفسية والفكرية مع الصليبيين وضد المسلمين.

٨- يعاب على ابن العبرى أنه فى انتقائه للأحداث التى يؤرخ لها ، وتلك التى يتجاهلها يرضخ لعواطفه الدينية فهى ميزانه فى نظرته للأحداث، وهذا الرضوخ مناف للموضوعية التى يجب أن يتحلى بها المؤرخ ، ومن الأمثلة الدالة على هذه السلبية تجاهله للتصرفات النبيلة التى عامل بها صلاح الدين الأيوبى عدداً من نساء الروم اللاتى كن يقمن بالقدس وقت فتحها، وكذل معاملته لملكة القدس، وابن العبرى لايريد أن يسجل ما قد يحسب نقاطًا مضيئة للمسلمين ولقائدهم صلاح الدين الأيوبى .

٩- مع إيجاز ابن العبرى للمعلومات واختزاله الشديد لها يقع فى أخطاء تاريخية لاتقع من معاصر لها وقريب الصلة بها، ومما يؤكد وقوع الخطأ منه تعارض معلوماته مع المصدر الذى نقل عنه وهو ابن الأثير، وهذا ينافى الأمانة العلمية التى يجب أن يلتزم بها المؤرخ ويحرص عليها.

١٠- وأخيراً يعمد ابن العبرى أحيانًا إلى تزييف المعلومات أو قلب الحقائق دفاعًا عن الصليبيين وتأييداً لهم وبسبب هذا يفتقر إلى معايير تماسك الذات والأمانة التى تميز بها المؤرخون الأقدمون ، وقسوة الصليبيين وقادتهم وغدرهم عنده فى أحيان كثيرة لم تكن موضع لوم أو ملاحظة تجعله يعمل على تسجيلها أو التأريخ لها، وهذا المسلك من ابن العبرى مسلك خطير ينبغى للباحثين بصفة خاصة التنبيه لمثل هذا المزلق الذى وقع فيه ، وترتب عليه تشويه للتاريخ وتزييف لحقائقه ، وإخلال بالنتائج المترتبة عليها.

هذا بصورة عامة أبرز العناصر التى تبينتها فى منهجية ابن العبرى التاريخية تجاه أحداث الحروب الصليبية فى كتابه (تاريخ مختصر الدول) مقارنة بابن الأثير وأحداث الحروب الصليبية فى كتابه (الكامل فى التاريخ) .

# الهوامش

١- يطلق إقليم الجزيرة الفراتية على الأجزاء الشمالية من المنطقة الواقعة بين نهرى دجلة والفرات ابتداءً من إلتقائهما جنوبًا وحتى اقترابهما من بعضهما شمالاً، وهى المنطقة المحصورة بين جبال كردستان شمالاً ونهر دجلة شرقًا وأرض السواد جنوبًا ونهر الفرات غربًا ، وقد قسمت قديمًا إلى ثلاثة أقسام:

* القسم الجنوبى الشرقى والمعروف بديار ربيعة وحاضرته مدينة الموصل .

* القسم الجنوبى الغربى والمعروف بديار حضر وحاضرته مدينة الرقة.

* القسم الشمالى من الجزيرة والمعروف بديار بكر وحاضرته مدينة آمد أو مدينة ميافارقين.

ولمزيد من التفاصيل عن جغرافية الجزيرة الفراتية وتاريخها فضلاً أنظر:

- المقدسى : شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، سنة ١٩٠٦م، ص١٣٦، ١٣٨ .

- أبو الفداء: المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)، تقويم البلدان، ياريس ، ١٨٤٠م، ص٢٧٧ ومابعدها .

- كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٥ / ١٩٨٥م.

- محمد يوسف غندور : تاريخ جزيرة ابن عمر، دار الفكر اللبناتى، بيروت، ١٩٩٠م.

- عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية فى الجزيرة وبلاد الشام ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠م.

- عصام الدين عبد الرؤوف : فى بلاد الجزيرة ، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٥م.

٢- أنطاكية : قصبة إقليم العواصم شرق حلب بينهما مسيرة يومين (٣فراسخ = ٩أميال= ١٤,٥كيلومترا) وبينها وبين البحر ستة أميال ، وهى عبارة عن سهل طوله ثلاثة أميال تحيط بها استحكامات طبيعية حصينة تربطها عدة طرق باللاذقية غربًا والاسكندرونة وميناء السويدية شمالاً وبدمشق جنوبًا . ذات أهمية استراتيجية وعسكرية وتجارية وصناعية وكذلك دينية.

بدأ الصليبيون حصارهم لأنطاكية فى الثالث عشر من ذى القعدة ٤٩٠هـ (الحادى والعشرين من أكتوبر ١٠٩٧م)، ومع ضخامة قواتهم التى زادت على ثلاثمائة ألف شخص ، فإنهم لم يحكموا حصارهم لها معظم مساحتها ومناعة حصونها وطبيعتها الجغرافية ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها رغم المساعدات المتكررة من الصليبيين والأرمن والبيزنطيين إلا بعد أكثر من سبعة أشهر

وبالتحديد فى الأول من رجب سنة ٤٩١هـ (الثالث من يونية سنة ١٠٩٨م)، ونتيجة لخيانة أحد الحراس الأرمن وتآمره مع الصليبيين .

لمزيد من المعلومات عن أنطاكية وتاريخها فضلاً أنظر:

- ابن القلانسى أبويعلى حمزة بن أسد الدين بن على بن محمد (ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨م.

- حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

- جمال محمد الزنكى: مؤيد الدين ياغى سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٧٧-٤٩١هـ/ ١٠٨٥-١٠٩٨م، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية عشرة ١٤١٧-١٤١٨هـ، الرسالة السادسة والعشرون بعد المائة.

Downey (G), A History of Antiochin Syria from seleucus to the arab conquest, princeton, 1961 .

٣- ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، جـ٣، ص٣٤٨ ، ٣٥٠ .

٤- ملطية : تقع عند سفح جبل طوروس ، من أهم مدن الحدود أو الثغور الإسلامية بين بلاد الشام والدولة البيزنطية ذات أهمية عسكرية وزراعية ، كانت فى زمن المؤرخ (القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى) إحدى مدن مملكة أرمينية النصرانية فى آسيا الصغرى، والتى كانت فى تحالف عسكرى مع إمارة أنطاكية الصليبية ، وهى الآن على بعد فرسخين (ستة أميال= ٩,٦ كيلومترات) من موقعها القديم المسمى الآن إسكى شهر، وعلى بعد فرسخ واحد (ثلاثة أميال- ٤,٨ كيلومترات) من الجسر القديم المسمى قرق كزفوق نهر طوخمه صو قرب ملتقاه مع نهر الفرات.

- (ياقوت ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى (ت٦٢٦هـ، ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، جـ٥ ، ص١٩٢ ؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢-١٥٣) .

٥- فى تاريخ متأخر انقطع ابن العبرى فى بعض الأديرة واختير أسقفًا على جوباس من أعمال ملطية، وأخذ يترقى فى الوظائف الدينية حتى حصل على رتبة جاثليق أى رئيس رؤساء الكهنة السريانيين فى بلاد المشرق (العراق وفارس وغيرهما).

- (الأدب أنطون صالحاني اليسوعي، ترجمة ابن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول ط الثانية ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٩٥٨م، ص د ؛ محمد عزيز ، العرب في المصادر السريانية المعاصرة للخلافة العباسية ، من حصاد ندوة أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب، عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة ٥-٧ شعبان ١٤١٩هـ / ٢٤-٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م، ص١٣٦) .

٦- مراغة : من مدن أذربيجان تقع على بعد سبعين ميلاً (١١٢كيلاً) جنوب تبريز ، على نهر صافي الذي يصب في بحيرة أرمية، تشتهر بزراعاتها ، أصبحت مركزاً لإقليم أذربيجان في العهد المغولي، وفي ظاهرها المرصد الفلكي الذي بناه نصير الدين الطوسي للإيلخان المغولي هولاكو.

أما إقليم أذربيجان فهو من أقاليم فارس الشمالية الغربية يحده شرقًا بحر خوارزم (بحر قزوين)، وغربًا عراق العجم وأرمينية الصغرى، وجنوبًا إقليم الجبال (كردستان) ، وشمالاً إقليم الران (ياقوت ، جـ١ ، ص١٢٨ ، جـ٥ ، ص٩٣؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص١٩٣، ص١٩٨-١٩٩) .

٧- يعد كتابه في التاريخ باللغة السريانية أهم كتبه ، وقد أكمل به تاريخ المنطقة من وفاة ميخائيل السرياني حتى وفاته سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، وهو في جزئين خصص أولهما للأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بينما جعل الثاني في قسمين خصصهما للأحداث الدينية، فضلا أنظر:

- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٩م، جـ٢، ص٤٥٥ .

- سهيل زكار، أضواء على بعض المصادر السريانية لتاريخ العرب والإسلام، من حصاد ندوة أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب ، عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة ٥-٧ شعبان ١٤١٩هـ / ٢٤-٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م، ص١٣٢ .

- محمد عزيز ، العرب في المصادر السريانية ، ص١٣٦ .

٨- اليعقوبية : نسبة إلى يعقوب البرادعي (باراديوس ، ت٥٧٨م)، وهم أتباع مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح (المونوفيزية) ، ومنطقتهم تمتد بين أنطاكية والرّها شمالاً وحتى القدس جنوبًا ، ومراكزهم كانت في أسيا الصغرى حول ملطية وفي قليقية، في شمال بلاد ما بين النهرين، وكان كرسي البعاقبة في عكا وبيت المقدس، وأكبر المناصب عندهم البطريركية ، ثم منصب المفريان وتحت رئاسته عدد من الأساقفة.

(القلقشندي أبو العباس، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج١ ، ص١١٠-١١١؛ ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة

عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط الثانية ١٩٩٧م، ص١٣٤ ؛ الأب أنطون صالحاني، ترجمة ابن العبرى ، ص د ، ص هـ).

والسريان هم المتحدثون بالسريانية ، وهى فرع من الآرامية إحدى اللغات السامية التى تحدث بها سكان سورية والجزيرة الفراتية والمناطق المجاورة لهما، وكتبوا بها خلال قرون طويلة منذ ماقبل الميلاد وحتى ما بعد الفتح الإسلامى، وكان السريان يعيشون فى بلاد الشام منذ القرن الأول للميلاد ، وهم فئتان السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك ، وما زال بعضهم يتحدث بها حتى الآن.

(سهيل زكار : أضواء على بعض المصادر السريانية، ص١٢١ ، أغناطيوس يعقوب : البراهين الحسّية على تعارض السريانية والعربية، دمشق ، ١٩٦٩م، ص٢٣) .

٩- كان ابن الأثير يناهز الثلاثين من عمره حينما وقعت معركة حطين سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) .

١٠- صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان من الأكراد الروادية إحدى بطون قبيلة الهذبانية التى كان موطنها الأصلى بلدة دوين فى إقليم أذربيجان قرب تفليس، ولد ليلة انتقال أسرته من تكريت إلى الموصل سنة ٥٣٢هـ (١١٣٨م) ، وبعد سنتين انتقل مع والده إلى بعلبك ثم إلى دمشق حيث عاش فيهما طفولته وشبابه ، ثم إلى مصر حيث عاش فيها رجولته وجهاده إلى أن توفاه الله فجر يوم السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩هـ (أوائل سنة ١١٩٣م) وعمره قريب من سبع وخمسين سنة.

(ابن وصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م، جـ٢ ، ص٤٢٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢ ، ص٣٧٧ ؛ أبوشامه : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، دار الجيل، بيروت ، ١٢٨٨هـ، جـ٢ ، ص٢١٨) .

١١- الملك الفرنسى القديس لويس التاسع (التقى المتحمس) ابن لويس الثامن ولد فى ٢٥ أبريل ١٢١٤م فى بواسى، تولى الملك فى ٨ نوفمبر ١٢٢٦م، جرد إضافة إلى الحملة السابعة حملة ثامنة على تونس سنة ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) غادراً بما قطعه من عهد بعدم الرجوع إلى محاربة المسلمين ، وكان فيها هلاكه فى المحرم سنة ٦٦٩هـ (٢٥ أغسطس ١٢٧٠م) .

(جان سيردى جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥٣ ، ص٣١٣ ؛

Brunschvia (ROBERT), La berberic orientale sous les Hafsides vol . I , Paris, 1940, pp. 59-62 .

١٢- السلطان المملوكى بيبرس بن عبدالله البندقدارى النجمى ركن الدين أبو الفتح أصله من القفجاق ، ولد سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م)، وحمل إلى القاهرة واشتراه الأمير أيدكين البندقدارى ، ثم أخذه الصالح نجم الدين الأيوبى، تسلطن فى سابع عشر ذى القعدة سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) واستمر حتى وفاته يوم الخميس الثامن والعشرين من المحرم سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) .

(محمد بن شاكر الكتبى، فوات الوفيات ، تحقيق إحسان بن عباس، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م، جـ١ ، ص٢٣٥ ؛ ابن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبدالله الظاهرى (ت٨٧٤هـ / ١٣٥٤م) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى جـ١ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٥، ص٢٠٣) .

١٣- لمزيد من التفاصيل عن العلاقات بين الجانبين فضلاً أنظر:

- ابن عبدالظاهر ، محى الدين أبو الفضل عبدالله (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢)، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦هـ.

- المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥ / ١٤٤٢م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك، القسم الأول، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) .

- فايز نجيب اسكندر: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٠م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور : (سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى) ضمن كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٧م، ص٢٢٥) .

١٤- جعل ابن العبرى الدولة الأولى هى دولة الأولياء قبل الدخول إلى أرض الميعاد، وجعل الدولة العاشرة هى دولة المغول، وقبلها دول ملوك العرب المسلمين ، فضلاً انظر الكتاب ، ص٣، ص٩٣ .

١٥- الأب أنطون صالحانى اليسوعى مقدمة الكتاب ص و.

١٦- ابتداء من سنة ٤٩١هـ إلى سنة ٥٦٩هـ (١٠٩٧-١١٧٤م) .

١٧- لمزيد من التفاصيل حول التأسيس فضلاً انظر:

- ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق .

- فوشيه الشارترى : تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زيادة العسلى، دار الشروق، بيروت ١٩٩٠م.

- ستيفن رتسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ، ترجمة السيد الباز العرينى، ط الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، جـ١ الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣ ، ١٩٧٨م.

١٨- أبو الجود أبوسعيد عماد الدين زنكى بن آق سنقر بن عبدالله قسيم الدولة، كان مولده فى حلب سنة ثمانين وأربعمائة ، وهو وحيد والده، كان صغيراً عندما قتل والده، وحافظ عليه مماليك أبيه حتى نشأ وكبر. تسلم ولاية البصرة صغيراً ، ثم مللك الموصل ثم الجزيرة، وماردين ثم حلب ثم دمشق وأجزاء من بلاد الشام، كان سياسيًا محنكًا ومجاهداً عظيمًا ضد الصليبيين تحقق على يديه لأول مرة توحيد الجبهة الإسلامية وتحقيق أول انتصارات المسلمين عليهم ، قتله أحد مماليكه وهو محاصر لقلعة جعبر ليلة الأحد سادس ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ (١١٤٦م) .

(ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٨٤ وما بعدها؛ ابن الأثير، الباهر فى الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢ / ١٩٦٣م، ص٥ ، ص٢٤ ص٣٢ وما بعدها؛ ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد العقيلى (ت٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، بغية الطلب فى تاريخ حلب، نشر بعض تراجمه سهيل زكار ضمن كتابه الحروب الصليبية، بيروت ١٤٠٤هـ، جـ٢، ص٧٢٥ وما بعدها) .

١٩- أبو القاسم ، نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى كان مولده سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكانت نشأته فى الموصل ثم بدمشق ، كان عادلاً زاهداً عابداً مجاهداً له جهاد حربى مشهود ضد الصليبيين، كانت وفاته يوم الأربعاء حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة فى قلعة دمشق.

(ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص١٨٤ ، ١٨٨ ؛ أبوشامة ، الروضتين، جـ١، ص٥ ، ص٢٤ومابعدها).

٢٠- معروف أن إمارة الرُّها الصليبية كانت تتكون من قسمين أحدهما شرقى وبه مدينة الرُّها ويقع فى الجزيرة ، والثانى غربى وبه مدينة تل باشر الواقعة فى بلاد الشام إلى الشمال من حلب.

لمزيد من التفاصيل فضل انظر:

- علية عبد السميع الجنزورى ، إمارة الرّها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م.

- عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية فى الجزيرة والشام، ص١٩٩ وما بعدها .

٢١- تل باشر : شمالى حلب بينهما مسيرة يومين (٣ فراسخ = ٩ أميال = ١٤,٥ كيلومتراً)، أهلها نصارى أرمن ، فيها أسواق ومزارع وفيها قلعة حصينة، تعرف الآن بتل باجر تتبع إداريًا منطقة جبل سمعان إحدى محافظات حلب.

(ياقوت، معجم البلدان، جـ٢ ، ص٤٠؛ سهيل زكار، الحروب الصليبية جـ٢ ، ص٥٦٢، حاشية(١) ).

٢٢- عن تلك الأوضاع وتطوراتها فضلاً انظر : الدراسة الجيدة- من وجهة نظرى- التى قام بها على بيومى : الدولة الأيوبية فى مصر ، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٥٢م.

٢٣- الكامل فى التاريخ ، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، جـ٨ ، ص١٨٥، ١٨٨ .

٢٤- ياغى سيان بن محمد بن ألب التركمانى من أمراء السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى، الذى منحه حكم أنطاكية بعد مقتل سليمان بن قتلمش ابن عم السلطان، الذى استولى عليها من البيزنطيين سنة ٤٧٨ / ١٠٨٥م، كان ذا رأى وحزم وشجاعة، قتل على بعد فرسخ من أنطاكية، تركه غلمانه مغشيًا عليه متأثراً بضياع أنطاكية، فوجده على هذه الحال أحد الأرمن فقتله وقطع رأسه وحمله إلى الفرنج.

(ابن الأثير ، الكامل ، جـ٨ ، ص١٨٦) .

٢٥- قوام الدولة أبوسعيد كربوقا كان من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقى، كانت وفاته فى ذى القعدة سنة ٤٩٥هـ (١١٠٢م) على بعد أربعة فراسخ (١٢ ميلاً = ١٩,٣ كيلومتراً) من مدينة خوى، من أعمال أذربيجان بعد أن وصلها مريضًا، وكان السلطان السلجوقى بركيارق بن ملكشاه قد بعثه للاستيلاء عليها.

(ابن الأثير، الكامل، جـ٨ ، ص٢١٠) .

٢٦- ص١٩٦ .

٢٧- جـ٨، ص١٨٥-١٨٧ .

٢٨- ص١٩٦-١٩٧ .

٢٩- معرة النعمان تقع على الطريق بين حماة وقنسرين، كانت بداية الحروب الصليبية، مدينة عامرة مزدهرة ذات كثافة وأهمية تجارية وزراعية.

(ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/ ١٠٠٨م) سفر نامة ترجمة يحى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥م، ص١١ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص١٥٦) .

٣٠- جـ٨ ، ص١٨٧-١٨٨ .

٣١- ص١٩٧ .

٣٢- ابن الأثير، جـ٨ ، ص١٨٩ ؛ ابن العبرى، ص١٩٧ .

٣٣- جوسلين الثانى من أم أرمينية هى أخت ليون الأرمينى، وهو بهذا من أمراء الفرنج الذين ولدوا فى الشرق اتصف بالبراعة الحربية مع حب اللهو والإسراف فى الشراب، أقام إقامة مترفة على شواطىء الفرات ، تزوج من بياتريس أرملة حاكم صهيون، ورث عن والده جوسلين الأول الذى قتل عند دلوك سنة ٥٢٦هـ (١١٣١م) حب رعاياه له، ولكن كان يميل إلى حياة الراحة والهدوء وكانت تنقصه روح التصميم، كان شديد العداء للمسلمين، كثير الغدر والمكر لهم، أسره نور الدين محمود سنة ٥٤٥هـ (١١٥٠م) وقضى سنواته مسجونًا فى حلب حتى هلك.

(ابن الأثير ، الكامل ، جـ١١ ، ص١٥٥؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ١ ، ص٩٣ ؛ عليه الجنزورى ، إمارة الرُّها ، ص٢٩٦-٢٩٧، ص٣٢٥) .

٣٤- ابن العبرى، ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ ابن الأثير، جـ٩ ، ص٨ ، ص٢٩ .

٣٥- أبويعلى حمزة بن أسد الدين بن على بن محمد التميمى، ولد بدمشق سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٩م شغل العديد من المناصب مثل رئاسة ديوان الإنشاء، كانت وفاته بدمشق سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) ، مؤرخ ثقة ، له عناية بالحديث، كان أديبًا ، له إنشاء جيد وشعر حسن .

(خير الدين الزركلى، الأعلام، (ط الخامسة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م، مج٢ ، ص٢٧٦).

٣٦- جـ٩ ص٢٩ .

٣٧- جـ٩ ، ص٢٩ .

٣٨- ص٢٠٦ .

٣٩- ص٢٠٧ .

٤٠- جـ٩ ص٢٩ .

٤١- عن الحملة الصليبية الثانية وأحداثها فضلا أنظر:

- ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق .

- وليم الصورى: الحروب الصليبية: ترجمة حسن حبشى ، جـ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٢م.

- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ٢، ص٦٠٦ وما بعدها.

- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢ ، ص٣٩٧ ومابعدها .

٤٢- ولد وليم الصورى فى مدينة القدس سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م)، لم يكن حريصًا على ذكر أصله حيث بقى مجهولاً كما أن نشأته فى مدينة القدس كانت مجهولة سوى أنه كان حتى الخامسة عشرة من عمره يعيش حياته فى رغد من العيش بعدها سافر إلى إيطاليا وفرنسا للعلم، فدرس اللاهوت والفلسفة والرياضيات، وعاد إلى الشرق ليتقلد عدة مناصب هامة حيث شغل وظيفة رجل القانون الكنسى فى عكا ورئيسًا لشمامسة بيت لحم وصور، ثم مربيًا ومعلمًا لبولدوين الرابع ملك بيت المقدس، ثم مستشاراً للمملكة الصليبية ورئيسًا لأساقفة صور، مات سنة ١١٨٠م (٥٧٦هـ) فى بيت المقدس ألف عدة مؤلفات كان أهمها كتابه فى تاريخ الحروب الصليبية (Gesta Hierosolymit orum regus) الذى ترجمه الدكتور حسن حبشى فى أربعة أجزاء بعنوان (الحروب الصليبية) عن الترجمة الإنجليزية التى عنوانها:

(AHistory of deeds done beyond the Sea Columbia university. Press. 1943).

فضلا انظر : (مقدمة الكتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، جـ١ ص٥ ، ٤٣ ؛ حسين محمد عطية ، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، ص٣٤، حاشية رقم (١٧) ).

٤٣- الحروب الصليبية، جـ٣ ، ص٢٦٩ وما بعدها (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م) .

٤٤- الحروب الصليبية، جـ٣ ، ص٢٨٠ .

٤٥- عن تطورات هذه الفترة وتفاصيل أحداثها فضلاً انظر:

- ابن واصل ، مفرج الكروب .

- أبوشامة : الروضتين فى أخبار الدولتين.

- المؤرخ المجهول : ذيل كتاب وليم الصورى (مخطوط روثلان) ترجمة وتعليق أسامة زكى زيد، الاسكندرية، ١٩٨٩م.

- سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢ .

- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢ ، جـ٣ .

٤٦- حطين : قرية غرب بحيرة طبرية غنية المرعى وفيرة المياه بها قبر النبى شعيب عليه السلام، أخذت شهرتها من المعركة التى قادها صلاح الدين رحمه الله وانتصر فيها المسلمون على الصليبيين يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٨٤هـ (٤يوليو ١١٨٧م) واسترد المسلمون نتيجتها بيت المقدس وانهيار مملكة الصليبيين فيها .

لمزيد من التفصيل عن معركة حطين (مقدماتها ، نتائجها) فضلا انظر:

- ابن شداد بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٩م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سير صلاح الدين) تحقيق جمال الدين الشيال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

- فايد حماد عاشور : الجهاد الإسلامى فى العصر الأيوبى، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٤٧- عكا: كانت من أحسن بلاد الساحل (ساحل بلاد الشام) وأعمرها، حصينة واسعة ذات نشاط زراعى وتجارى (ياقوت ، المعجم ، جـ٤ ، ص١٤٣). استولى عليها الصليبيون للمرة الثانية بعد جهاد إسلامى مشرف ، وبعد حصار دام بدأ فى الثامن من رجب سنة ٥٨٥هـ (أواخر أغسطس سنة ١١٨٩م) ، وانتهى نهار الجمعة السابع عشر من جمادى الآخر سنة ٥٨٧هـ (يوليو ١٩٩١م) . لتفصيلات أوسع عن أحداث عكا فضلاً انظر:

- ابن شداد ؛ النوادر السلطانية .

- أبوشامة : الروضتين .

- سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ٢ .

٤٨- الرملة مدينة قديمة فى أرض فلسطين بينها وبين القدس مسيرة ثمانية عشر يومًا (٢٧ فرسخًا = ٨١ ميلاً = ١٣٠كيلومترا) مدينة واسعة معمورة خربها صلاح الدين خوفًا من استيلاء الصليبيين

عليهـا، واستـمرت خـرابًا حـتى منتـصف القـرن الـسابع الهـجرى. (ياقـوت ، المعـجم ، جـ٣ ، ص٦٩-٧٠)، وفيها تم عقد الصلح أو الهدنة بين صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد بدءاً من يوم الثانى والعشرين من شعبان سنة ٥٨٨هـ (الثانى من سبتمبر ١١٩٢م) ، واستمر ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ونص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف، وتكون الرملة واللد مناصفة بين المسلمين والصليبيين، وبقية المدن والجهات الأخرى تكون للمسلمين. لتفصيلات أكثر عن هذه الهدنة فضلاً انظر:

- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٨٦٠ ، ٨٦٥ .

- فايد عاشور ، الجهاد الإسلامي، ص٢٣٤ ، ٢٤٤ .

٤٩- الملك الكامل أبو المعالى محمد بن محمد بن أيوب بن شادى ، ولد فى الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م)، وحكم بعد وفاة والده العادل الأيوبى سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) ، مات مريضًا عصر الأربعاء الواحد والعشرين من رجب سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م)، كان عظيم القدر جميل الذكر محبًا للناس والعلماء والفضلاء ومجالستهم ومحاورتهم، كان حازمًا ذا حنكة ودراية محبًا للسلم كارهًا للحرب .

(ابن خلكان ، وفيات الأعيان، جـ٥ ، ص٧٩، ٩٢ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب، جـ٥، ص١٥٦ وما بعدها).

٥٠- الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى بن هنرى الرابع، ولد من أب ألمانى وأم نصف إيطالية فى ديسمبر ١١٩٤م، وتوج إمبراطوراً بمساعدة البابوية سنة ١٢٢٠م حتى عام ١٢٥٠م حيث كانت وفاته . أصبح ملكًا بالوصاية على مملكة بيت المقدس عام ١٢٢٥م، تربى وتعلم فى صقلية قريبًا من المؤثرات العربية فنشأ محبًا للعلوم والجدل والرياضيات واللغات ومنها العربية.

(سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢، ص٩٥٠، ٩٥٢ ، ستيفن رنسيمان ، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٣٠٥ وما بعدها).

٥١- يافا من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا تعد ميناءً لبيت المقدس بينهما مرحلتان (١٦ فرسخًا = ٤٨ميلاً= ٧٧,٢٣ كيلومترا).

(ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٥، ص٤٢٦؛ الحميرى ، محمد بن عبد المنعم (ت أواخر النصف الأول من القرن الثامن الهجرى)، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، ط الثانية ،

مكتبة لبنان، ، بيروت سنة ١٩٨٤م، ص٦١٥).

وعن اتفاقية يافا فضلاً انظر ص٢٩ الجزئية الثامنة.

٥٢- فى الجزئين الثامن والتاسع .

٥٣- كان ضم صلاح الدين لمدينة دمشق سنة ستين وخمسمائة (١١٧٤م) أما محاولاته ضم حلب فكان أولها فى ٣ جمادى الآخر سنة سبعين وخمسمائة (١١٧٤م)، وآخرها فى صفر سنة تسعة وسبعين وخمسمائة (١١٨٣م) . ولمزيد من التفاصيل عن ذلك فضل انظر:

- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ١ .

- أبوشامة : الروضتين ، جـ١ ص٢٣٥ ومابعدها .

- على بيومى: قيام الدولة الأيوبية فى مصر.

- وفاء محمد على: قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٥٤- فى الصفحات ٢١٥، ٢٤٥ .

٥٥- جـ٩ ، ص١٦٢ .

٥٦- ص٢١٩ .

٥٧- جـ٩ ، ص١٦٢ .

٥٨- لمزيد من الضوء عن هذه الجزئية فضلا انظر عرض الأحداث الثانوية الجزئية رقم (١٤) .

٥٩- جـ٩، ص١٨٢-١٨٦ .

٦٠- ص٢٢٠ .

٦١- طبرية : من أعمال الأردن، بليدة تطل على البحيرة المسماة باسمها يطل عليها جبل الطور، بينها وبين بيت المقدس مسيرة ثلاثة أيام (٥ , ٤فرسخ = ٥ , ١٣ميل= ٢١ كيلومترا) اشتهرت بعيونها الحارة وحماماتها (ياقوت ، المعجم ، جـ٤ ، ص١٧) . ذات تاريخ وجهاد فترة الحروب الصليبية، استعادها المسلمون يوم الخميس السابع من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (٢٨يونية سنة ١١٨٧م) ، وكانت إحدى أهم مصادر المياه التى سيطر عليها المسلمون فى المنطقة، وبعدها بأيام كانت معركة حطين الفاصلة.

(ابن واصل ، مفرج الكروب، جـ٢ ، ص١٨٩؛ فايد عاشور، الجهاد الإسلامى، ص١٢٥) .

٦٢- ص٢٢٠ .

٦٣- ص٢٢٠-٢٢١ .

٦٤- حسمت معركة حطين فى ٢٥ ربيع الآخر (يوليو ١١٨٧م) بينما استردت بيت المقدس فى ٢٧ رجب من العام نفسه (أكتوبر ١١٨٧م) .

لمزيد من التفاصيل فضلا انظر:

- ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٧٥ وما بعدها.

- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص١٩٣ ، ٢٣٤ .

- سهيل زكار : حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس ، دار إحسان، دمشق، ١٤٠٤هـ.

- عبدالله ناصح علون : صلاح الدين الأيوبى بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين ، بيروت ، ١٩٨٣م.

٦٥- باليان الثانى دى إبلين، وفى المصادر الإسلامية باليان بن بارزان أو بيرزان، صاحب الرملة، خلف والده باليان الأول دى إبلين فى حكمها سنة ١١٦٩م، كان من الأمراء القلائل الذين نجوا من معركة حطين سمح له صلاح الدين بالذهاب إلى بيت المقدس لأخذ زوجته الملكة ماريا كومنين أرملة عمورى الأول وأولاده ولكنه خان وعده لصلاح الدين وبقى فى بيت المقدس يعمل على تحصينها والدفاع عنها، كان أحد الموقعين على هدنة الرملة مع صلاح الدين (سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٧٨١، ص٨٦٣) .

٦٦- ص٢٢١ .

٦٧- ص٢٢١ .

٦٨- جـ٩ ، ص١٨٤ .

٦٩- جـ٩ ، ص٢٠٨، ٢١٠ .

٧٠- ص٢٢١-٢٢٢ .

٧١- جـ٩ ، ص١٩٣ .

٧٢- ص٢٢٢ .

٧٣- جـ٩ ، ص٢١٤ ، ٢١٧ .

٧٤- ص٢٢٢ .

٧٥- فضلا انظر الحاشية رقم (٤٨) .

٧٦- جـ٩ ، ص٢٢١-٢٢٢ .

٧٧- ملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد (١١٥٧-١١٩٩م) توج خلفًا لوالده هنرى الثانى ملكًا على انجلترا فى سبتمبر سنة ١١٨٨م، وقاد مع الملك الفرنسى فليب أغسطس الحملة الصليبية الثالثة، وصفه ابن شداد بأنه شديد البأس عظيم الشجاعة قوى الهمة له وقعات عظيمة وجسارة على الحرب، وأنه دون ملك الفرنسيين ولكنه أكثر مالاً وأشهر فى الحرب والشجاعة. قتل فى مارس عام ١١٩٩م.

(ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٢٤٩-٢٥٠؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٨٣٦ ومابعدها) .

٧٨- جـ٩ ، ص٢٢١ .

٧٩- جـ٩ ، ص٢٢٢ .

٨٠- ص٢٢٣ .

٨١- الكاثوليكية ، إحدى العقائد النصرانية ، تسمى كنيستها بكنيسة الغرب اللاتينى، انفصلت عن الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) عام ١٠٥٤م لأسباب عديدة أهمها ما يتعلق بطبيعة المسيح عليه السلام ، تتبع النظام البابوى فى روما الذى يقوم على مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة الذى يرأسه البابا ، وله الحق فى إصدار إرادات بابوية سامية هى حسب زعيمهم إرادات إلهية.

لمزيد من المعلومات فضلا انظر:

- محمد أبوزهرة : محاضرات فى النصرانية، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

- محمد عزت الطهطاوى : النصرانية والإسلام، ط الثانية ، مكتبة النور، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

- أليكس جورانسكى : الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ، ترجمة خلف محمد الجراد، ط الثانية، دار الفكر المعاصر ، بيروت، ١٤٢١هـ.

٨٢- جـ٩ ، ص٢٦٣-٢٦٤ .

٨٣- ص٢٢٧-٢٢٨ .

٨٤- الأرثوذكسية : إحدى العقائد المذهبية للنصرانية بعد انقسامها عام ١٠٥٤م، وتشمل نصارى الشرق، تسمى كنيستها بالكنيسة الشرقية أو اليونانية، أو كنيسة الروم الشرقيين كان مقرها مدينة القسطنطينية، ثم أصبحت موزعة على عدة كنائس مستقلة عن بعضها فى عدد من الدول الآسيوية، والأفريقية، والملاحظ أن نصارى الشرق يتصوفون بصفات خاصة بهم تميزهم عن نصارى الغرب، وذلك من حيث توزيعهم إلى طوائف مختلفة قائمة بذاتها تستند كل منها إلى تاريخها الخاص بها، وكل كطائفة تتمتع بهيكلية كهنوتية وتشريعات كنسية ومحاكم مذهبية خاصة بها.

لمعلومات أوسع فضلاً انظر:

- محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية، الرياض ١٤٠٤هـ، ص٤٦ .

- محمد عزت الطهطاوى ؛ النصرانية والإسلام، ص١٤٠ .

- أدفون أرياط: المسيحيون الشرقيون (دراسات ومناقشات ، بيروت (ب-ت) ، ص١٥ .

٨٥- ص٢٣٧، وقد أشار إلى نهايتها فقط كما سيتضح ذلك بعد قليل.

٨٦- ص٢٣٣ ، ٢٣٦ .

٨٧- كان يوحنا دوبرين (١١٤٨-١٢٣٧م) ملكًا على عكا، كما كان وصيًا على مملكة بيت المقدس (١٢١٠-١٢٢٥م) .

٨٨- كان الكاردينال بيلاجيوس مندوبًا عن البابا (هونوريوس الثالث)، وقائداً أعلى للصليبيين فى حملتهم على مصر ، وكان المسئول الأول عن فشل الحملة الصليبية. (سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٩٢٠ وما بعدها) .

٨٩- جـ٩ ، ص٣١٨ .

٩٠- ص٢٣٦-٢٣٧ .

٩١- لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة فضلاً انظر:

- ابن واصل، مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٢٣٣ وما بعدها .

- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٩٤٥ ، ٩٧٢ .

- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣، ٣١٧ ، ٣٤٢ .

٩٢- حدث هذا نتيجة اتفاقية يافا التى عقدت بين الجانبين فضلاً انظر : ص٢٩ الجزئية الثامنة.

٩٣- جـ٩ ، ص٣٧٨ .

٩٤- ص٢٤٤ .

٩٥- Setton, (K.M.): A History of the Crusades. pansylvania. 1958. vol , 2. pp. 454-457 .

- رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٣٣٠-٣٣١ .

٩٦- تاريخ الحروب الصليبية، ج٣ ، ص٣٢٩ .

٩٧- فضلاً انظر:

- ابن واصل مفرج الكروب ، ج٤، ص٢٤١ .

- أبو الفداء : المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م) : المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٣٢٥هـ، ج٣، ص١٤١ .

- ابن أيبك: أبوبكر عبدالله بن أيبك الدودار (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) : كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ (الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب) تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٣٢٦ .

- المقريزى : السلوك ، ق١ ، ج١ ، ص٢٣٠ .

٩٨- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢، ص١٠١٠ ؛ رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص٣٢٩ ؛ Setton, Op. cit. vol . 2 . p. 454 .

٩٩- جـ٨ ، ص١٨٦ .

١٠٠- كما هو معروف تنقسم الحملة الصليبية الأولى إلى شعبتين ، الأولى ما عرف بالحملة الشعبية أو حملة الدعاة أو حملة بطرس الناسك، وقبلها حملة جوتييه سانزأفوار على رأس فريق من الرعاع وصل بهم إلى القسطنطينية ، والثانية ما عرف بحملة الأمراء التى تألفت من عدة مجموعات رأس كل مجموعة أحد الأمراء الأوربيين، فكان على المجموعة الأولى الأمير جودفرى بوايون ورفقته أخوه بلدوين البولونى وعدد آخر من الأمراء، ومجموعة ثانية وصلت إلى القسطنطينية بحراً هى ما عرف بالحملة النورامنية بقيادة بوهيمند النورمانى بن روبرت جسكارد ومعه عدد كبير من الأمراء والدوقات الأوربيين ، ومجموعة ثالثة وفدت من إقليم بروفانس تحت زعامة ريموند الرابع (ريموند الصنجيلى) أمير تولوز وبروفانس ، وصحبتها الأسقف بوى (Adhemar de monteil) الذى

اختاره البابا نائبًا عنه فى القيادة العليا للحملة الصليبية، ثم وصلت أخيراً الحملة الفرنسية لتلتقى مع بقية المجموعات الصليبية على شاطىء البسفور ، وكانت بقيادة الأمير روبرت بن وليم الفاتح أمير نورماندیا، ومعه أيضًا عدد من الأمراء الفرنسيين ، وقد تعهد أولئك الأمراء قادة المجموعات الصليبية للإمبراطور البيزنطى الكسيوس الأول كومنين (١٠٨١-١١١٨م) وأقسموا له بيمين الولاء والتبعية للإمبراطورية البيزنطية (فضلاً انظر المصادر التالية).

١٠١- من المصادر الصليبية :

- المؤلف المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٧ ومابعدها .

- فوشيه الشارترى : تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص٤٠ وما بعدها .

- وليم الصورى: الحروب الصليبية ، جـ١ ، ص١١٢ ومابعدها .

- ولمزيد من المعلومات عن ذلك فضلا انظر:

- سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ١ ، ص١٤٠ ومابعدها .

- رنسيمان : الحروب الصليبية، جـ١ ، ص١٨٩ ومابعدها .

١٠٢- جـ٨ ، ص١٨٦ .

١٠٣- ص١٩٦ .

١٠٤- جـ٨ ، ص١٨٩ .

١٠٥- ص١٩٧ .

١٠٦- الأمير بلدوين الثانى دو بورج أمير الرها من كبار الأمراء الصليبيين الذين شاركوا فى توجيه الحملة الصليبية الأولى، أشاد بجهوده المؤرخون فى التقريب بين النصارى الشرقيين والغربيين ، ومن ذلك زواجه من مورفيا بنت جبريل حاكم ملطية الأرمنى، ثم تتويجه ملكًا على مملكة بيت المقدس فى أبريل سنة ١١١٨م بعد وفاة ابن عمه بلدوين الأول، كان له جهود فى توحيد الصليبيين بعد أن صار وصيًا على عدد من الإمارات الصليبية فى الرها وانطاكية ، وقع فى أسر المسلمين أكثر من مرة كان أولها بعد معركة حران (البليخ) فى ٧ مايو سنة ١١٠٤م، الثانية وهو يهاجم خرتبرت فى ١٨ أبريل سنة ١١٢٣م، وأطلق سراحه أواخر يونيو سنة ١١٢٤م، وأخيراً هلك فى بيت

المقدس فى ١٢ أغسطس سنة ١١٣١م بعد أن حكم ثلاث عشرة سنة.

(سعيد عاشور) الحركة الصليبية، جـ١ ، ص٤٢٥ ، ٥٢١) .

١٠٧- جـ٨ ، ص٢٥٣ .

١٠٨- تنكرد : تانكريد بن المركيز أمير أنطاكية الصليبية (١١٠١-١١١١م) أحد الأمراء النورمانديين المشاركين فى الحملة الصليبية الأولى ضمن المجموعة النورمانية، وأحد الأمراء المخلصين لقائد المجموعة جودفرى بوايون لذا أقطعه إقليم الجليل وأسس فيها إمارة له أضاف إليها فيما بعد حيفا والمناطق المحيطة بها ، ثم أصبح وصيًا على إمارة أنطاكية بعد أسر خاله بوهيموند ، ثم أميراً عليها تحت لقب الأمير الكبير أو خادم الله كان من المتحمسين لحرب المسلمين، وله طموحات سياسية كبيرة جعلته فى حروب دائمة مع المسلمين والبيزنطين وحتى الصليبيين ، كانت نهايته فى ١٢ ديسمبر سنة ١١١٢ م دون أن يترك وريثًا يرثه فى إمارته الصليبية.

(سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ١ ، ص٢٥١ ، ٤٠٩) .

١٠٩- جـ٨ ، ص٢٥٩، ٢٦١ .

١١٠- ص١٩٩ .

١١١- الأتابك شرف الدولة مودود بن ألتونتكين ، أصبح أميراً على الموصل سنة ٥٠٣هـ (١١٠٩م) بعد أن نجح فى القضاء على عصيان أميرها السابق جاولى سقاوو الذى استقل بها عن التبعية للسلطان السلجوقى ، قتله أحد الباطنية الحشاشين فى دمشق وهو خارج من صلاة الجمعة وكان صائمًا وذلك آخر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ، ودفن فى أصبهان ، كان خيراً عادلاً كثير الخير كثير الجهاد للصليبيين الذين فرحوا كثيراً لمقتله.

(ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧-١٨٨؛ سبط ابن الجوزى: شمس الدين يوسف بن قزاوغلى (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، جـ٨ ، ق١ ، ص٥٠-٥١ ؛ عفاف صبرة ، الأمير مودود بن ألتونتكين ، مجلة الدارة، العدد الثانى ١٩٨٦م، ص١٠٩ ومابعدها) .

١١٢- السلطان أبوشجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى خطب له بالسلطنة فى جامع بغداد فى سابع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة له آثار حسنة وسيرة طيبة وسياسة حكيمة وجهاد مشكور، مرض مرضًا طويلاً أدى إلى وفاته يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى

الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمدينة أصبهان، وله من العمر سبعًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام.

(ابن الأثير ، الكامل، جـ١٠ ، ص٢٧٧-٢٧٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، جـ٥ ، ص٧١ ، ٧٣) .

١١٣- بدأت الحملة الأولى فى شوال من سنة ٥٠٣هـ (أبريل سنة ١١١٠)، واستمرت المحاصرة مدة ثلاثة أشهر تقريبًا انتهت بانسحاب الجيش الإسلامى أواخر ذى الحجة (١٩يوليو) ، وتركت آثاراً واضحة عليها من الناحيتين السكانية والاقتصادية، والحملة الثانية بدأت أوائل سنة ٥٠٥هـ (يوليو سنة ١١١١م) واستمرت مدة خمسة وأربعين يومًا انسحب المسلمون بعدها بعد أن وجدوا صلابة فى الدفاع عنها وكثرة الجنود والمؤن داخلها ، وكانت الثالثة فى المحرم سنة ٥٠٦هـ / يونيو سنة ١١١٢م، ولم تستمر سوى أيام، وهى التى نال الصليبيون فيها من جيش مودود.

لمزيد من المعلومات عن ذلك فضلا انظر:

- ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩ ومابعدها .

- عليه الجنزورى : إمارة الرّها الصليبية ، ص١٣٠ ومابعدها .

١١٤- جـ٨ ، ص٢٦٢ .

١١٥- جـ٨ ، ص٢٦٥ .

١١٦- ابن العبرى، ص١٩٩ .

١١٧- نور الدين بلك بن بهرام بن أرتق ، كان أميراً على خرتبرت وماجاورها ، ثم تولى إمارة حلب، وكان له فيها جهاد مشكور ودور بارز فى محاربة الصليبين، قتل وهو محاصر لمنبج فى ربيع الأول من سنة ثمانى عشرة وخمسمائة للهجرة (١١٢٤م)، وحمل إلى حلب حيث دفن فيها .

(ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣١٥؛ عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية، ص٢٧٤) .

١١٨- ابن الأثير ، جـ٨ ، ص٣١٢ ، ص٣١٥ ؛ ابن العبرى، ص٢٠٢ .

١١٩- أبوسعيد سيف الدين آق سنقر البرسقى الغازى كان مملوكًا تركيًا للأمير برسق من كبراء مماليك السلطان محمد السلجوقى، كان دينًا عادلاً خيراً لين الأخلاق حسن المعاملة والعشرة، كثير الجهاد ،

ولى العراق والموصل وحلب وجهات أخرى فى العراق والشام. قتله أحد الباطنية الحشاشين فى الموصل بعد صلاة الجمعة ثامن ذى القعدة سنة عشرين وخمسمائة للهجرة (١١٢٦م) .

(ابن العديم ، بغية الطلب، تحقيق سهيل زكار (كتاب الحروب الصليبية) جـ٢، ص٧١٩ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص٣٢٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، جـ١، ص٢٤٢) .

١٢٠- جـ٨ ، ص٣٢٠ .

١٢١- ص٢٠٢ .

١٢٢- عز الدين مسعود بن آق سنقر البرسقى صاحب الموصل، وليها بعد وفاة أبيه، وكان فى إمارة حلب عندما علم بوفاة والده، فلم يختلف عليه أحد، واستقامت أموره وخطب للسلطان السلجوقى محمود بن محمد كان شجاعًا شهمًا طموحًا مات بمرض مفاجئ وهو محاصر الرحبة يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة للهجرة (١١٢٧م) .

(ابن الأثير ، الكامل، جـ٨ ، ص٣٢٣؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، جـ١ ، ص٢٤٣) .

١٢٣- ابن الأثير ، جـ٩ ، ص١٣-١٤ ؛ ابن العبرى، ص٢٠٦ .

١٢٤- جـ٩ ، ص٢٥-٢٦ .

١٢٥- ص٢٠٧ .

١٢٦- شيزر : مدينة قديمة على بعد خمسة عشر ميلاً شمال حماة ، تقع على أكمة صخرية على الضفة الغربية لنهر العاصى الذى يلتف حولها من ثلاث جهات مما زادها منعة وتحصينًا ، عدت زمن الحروب الصليبية مركزاً هامًا لإمارة بنى منقذ التى ضمت كلاً من أفامية وكفر طاب واللاذقية.

(محمد محمد مرسى الشيخ ، الإمارات العربية فى بلاد الشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ، ١٩٨٠، ص٤٦-٤٧) .

١٢٧- جـ٩ ، ص٥٣-٥٥ .

١٢٨- ص٢٠٨ .

١٢٩- جـ٩ ، ص٨٤-٨٥ .

١٣٠- ص٢١٢ .

١٣١- حصن حارم من أعمال حلب ، بينها وبين أنطاكية يتبعه بلدة صغيرة تحيط بها الأشجار ونهر صغير، يقع الحصن على رابية صخرية مرتفعة محمى من جميع الجهات بخندق عميق منحوت فى الصخر، كان حصنًا مثلث الشكل ثم أصبح دائريًا بأربعة أبراج مربعة الشكل .

(ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٠٥ ؛ أسامة زكى بدر، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨١م، ص١٥٣ حاشية (١).

١٣٢- قلعة بانياس ، مدينة صغيرة من أعمال دمشق إلى الغرب منها لها قلعة حصينة يحيط بها نهر بردى .

(الحميرى ، الروض المعطار، ص٧٣) .

١٣٣- جـ٩ ، ص٨٦-٨٧ .

١٣٤- جـ٩ ، ص١٠٥-١٠٦ .

١٣٥- أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زنكى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى، ولى حلب بعد وفاة ابن عمه الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ، وعندما عرف عجزه عن حمايتها والدفاع عنها سلمها إلى صلاح الدين ثامن عشر صفر سنة ثمانية وخمسمائة للهجرة، وانتقل إلى سنجار حتى كانت وفاته فى المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة (١١٩٧م)، كان خيراً دينًا عادلاً كثير الصدقات، كانت ولايته ثلاثين سنة.

(أبوشامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٢٧ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، جـ٢ ، ص٣٣٠-٣٣١) .

١٣٦- فضلا انظر ص١٨-١٩ .

١٣٧- أرناط فى المصادر الإسلامية (ريجنالد) أورينو دوشاتيون ، وقبل مجيئه إلى بلاد الشام كان اسمه (Le Prince arnould se igneur de Carac) فارس فرنسى قدم أنطاكية وأصبح أميراً عليها ثم أصبح أميراً لحصن الكرك، ظل فى قبضة المسلمين سنين طويلة أسيراً فى قلعة حلب، حتى أطلق سراحه سنة ١١٧٧م لم تفلح فى تهذيب سلوكه وتأديبه ، كان ذا سياسة طابعها الحماس والتطرف ، لقى منه المسلمون والصليبيون كثيراً من الغدر والخيانة قتل بيد صلاح الدين بعد انتصار حطين يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (٤ يوليو ١١٨٧م) .

(سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٧٤٠) .

١٣٨- عقدت هذه الهدنة أول سنة ٥٧٦هـ (مايو سنة ١١٨٠م) بطلب من الملك بلدوين الرابع ملك بيت المقدس بعد الضربات القوية التى وجهها صلاح الدين ضد الصليبيين فى عدد من الجهات التى استولوا عليها، والملاحظ أن هذه الهدنة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس وحدها، مما جعل صلاح

الدين فى حلٍ من مهاجمة الصليبيين فى شمال بلاد الشام، فاضطر ريموند الثالث أمير طابلس إلى عقد هدنة مماثلة مع صلاح الدين.

(أبوشامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص١٦ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص٩٧ ؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٧٣٥) .

وفى صيف سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨١م تناسى أرناط الهدنة المعقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس، وقام ومعه قوة من رجاله بالتوغل فى صحراء العرب (شمال غرب شبه الجزيرة العربية) حتى تيماء، وكانت واحة لها أهميتها فى طريق الحاج بين بلاد الشام والمدينة المنورة ، وكان فى نيته أن يزحف بعد ذلك إلى المدينة المنورة، وعندما فشل هدفه اكتفى بالاستيلاء على قافلة تجارية متجهة من دمشق إلى مكة المكرمة، وسلب ما تحمله من مال ومتاع وقتل وأسر من كان فيها.

لمزيد من التفصيل عن ذلك فضلا انظر:

- ابن الشداد : النوادر السلطانية : ص٧٤ .

- ابن واصل : مفرج الكروب، جـ٢ ، ص١٢٧ ، ١٣٢، ص١٩٤-١٩٥ .

- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٧٢٩ وما بعدها .

- يوسف درويش غوانمه : إمارة الكرك فى العصر الأيوبى. عمان، ١٩٨٢ م.

- محمود رزق محمود : العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى معركة حطين عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، القاهرة ١٩٧٣م.

١٣٩- جـ٩ ، ص١٧٤ .

١٤٠- ص٢١٩-٢٢٠ .

١٤١- مدينة صور من أعمال الأردن تبعد عن بيروت جنوبًا بسبعة أميال، وعن صيدا ستة أميال يحيط بها البحر من ثلاث جهات ، لذا كانت حصينة جداً منيعة لايمكن أخذها بسهولة، (ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٤٣٣؛ أسامة زكى بدر، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ص١٠).

١٤٢- ابن الأثير ، جـ٩ ، ص١٨٦-١٨٧ ، ابن العبرى، ص٢٢١ .

١٤٣- كان بوهيموند الثالث (١١٤٥-١٢٠١م) أميراً على أنطاكية (١١٦٣-١٢٠١م) قد اضطر إلى مهادنة صلاح الدين بسبب الهجمات المتتالية والناجحة التى حققها صلاح الدين ضد أملاك هذه الإمارة والحصون والقلاع التابعة لها، وعقدت بين الطرفين هدنة مدتها ثمانية أشهر.

(سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، جـ٢ ، ص٨٠٠) .

١٤٤- جـ٩ ، ص١٩٥ .

١٤٥- ص٢٢٢ .

١٤٦- الملك وليم الثانى المولود سنة ١١٦٦م، كان ممن سارع فى تلبية نداء الصليبيين لحمايتهم والدفاع عنهم بعد حطين واستعادة بيت المقدس من أيدى المسلمين ، وكان أول من استجاب لتلك الدعوة، فعقد صلحًا مع البيزنطيين، وأرسل إلى بقية ملوك أوربا يدعوهم للتضامن معه فى مشروع حملة صليبية ضد المسلمين واستعادة بيت المقدس، ولم ينتظر رد أولئك الملوك بل بادر بإرسال أسطول يحمل بضع مئات من الفرسان إلى طرابلس ، تحت قيادة أمير البحر مارجريت البرنديزى الذى نجح فى منع صلاح الدين من الاستيلاء على طرابلس واللاذقية، وكان مما حال دون اشتراك الملك الصقلى فى الحملة الصليبية الثالثة هو انشغاله بالعلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية، ثم كانت وفاته فى ١٨ نوفمبر سنة ١١٨٩م سببًا فى فشل أهدافه.

(سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص٨٠٩-٨١١ ؛ ستيفن رنسيمان ، الحروب الصليبية، جـ٣ ، ص٢١) .

١٤٧- جـ٩ ، ص١٩٩ .

١٤٨- الملك العادل سيف الدين أبوبكر محمد بن أيوب بن شاذى بن مروان ، ولد بدمشق فى المحرم سنة أربعين وخمسمائة، وكانت وفاته بعالقين - قرية بظاهر دمشق- فى سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة (١٢١٨م) ونقل إلى دمشق حيث دفن فى قلعتها وله من العمر خمسًا وسبعين سنة وشهوراً، كان ذا رأى وتدبير ومعرفة وحنكة حسن السيرة ، جميل الطوية وافر العقل حازمًا فى الأمور ذا دين وصلاح محب للعلماء.

(ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٢٧٠، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، جـ٥ ، ص٧٤) .

١٤٩- جـ٩ ، ص٢٣٧-٢٣٨ .

١٥٠- ص٢٢٥ .

١٥١- ص٢٧٠ ، ٢٧٢ .

١٥٢- تشكل الأحداث التى وردت فى الصفحات السابقة أمثلة لهذه العناصر مما لايخفى على فطنة القارىء الكريم .

# قائمة المصادر والمراجع *

## أولاً : المصادر:


- ابن الأثير: عز الدين على بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :

الكامل فى التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن زبى بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م.

- ابن شداد : بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٦م) .

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

- ابن العبرى: أبو الفرج غريغوريوس بن هارون (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) :

تاريخ مختصر الدول، نشرة الأب أنطون صالحانى اليسوعى، ط الثانية ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٩٥٨م.

- ابن العديم: كمال الدين عمر بن أحمد العقيلى (ت٦٦٠هـ / ١٢٦١م) :

بغية الطلب فى تاريخ حلب ، بعض تراجم نشرها سهيل زكار ضمن كتاب الحروب الصليبية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- ابن القلانسى : أبويعلى حمزة بن أسد الدين بن على (ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م) .

ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨م.

- ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م.

- أبو الفداء : المؤيد إسماعيل بن على (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) :

تقويم البلدان، باريس ، ١٨٩٠م .

- أبوشامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) :

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجيل، بيروت، ١٢٨٨هـ.


---

* لم تشمل هذه القائمة المصادر والمراجع التى وردت فى حواشى البحث لمرة واحدة فقط.

- جوانفيل : جان سير دى جوانفيل (كانو موجوداً سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٩م) :

مذكرات جوانفيل (القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام)، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

- الحميرى: محمد بن عبد المنعم (ت أواخر النصف الأول من القرن الثامن الهجرى):

الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤ .

- الشارترى : فوشيه (كان موجوداً سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م) :

تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة زياد جميل العسلى، دار الشروق، عمّان، ١٩٩٠م.

- الصورى: وليم (ت٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) :

تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر منذ وقت خلفاء محمد ﷺ وحتى عام ١١٨٤م من الميلاد. ترجمة حسن حبشى تحت عنوان الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢-١٩٩٤م .

- المقريزى: تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) :

السلوك لمعرفة دول الملوك - القسم الأول- تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ.

- المؤرخ المجهول: ذيل كتاب وليم الصورى (مخطوط روثلان) ترجمة أسامة زكى زيد، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- ياقوت : شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) .

معجم البلدان، دار صادر، بيروت ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

## ثانيًا : المراجع :

- أسامة زكى زيد : صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

- حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، ط الثالث، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ط الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

- على بيومى مهران: قيام الدولة الأيوبية فى مصر، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٥٢م.
- علية عبد السميع الجنزورى : إمارة الرُّها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية فى الجزيرة وبلاد الشام ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- فايد حماد عاشور : الجهاد الإسلامى فى العصر الأيوبى، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ .
- محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية، الرياض ، ١٤٠٤هـ.
- محمد عزت الطهطاوى : النصرانية والإسلام، ط الثانية، مكتبة النور، القاهرة ١٤٠٧هـ.

Setton . (K.M.) A History of the crusades, pensylvania. 1958 .

## ثالثًا : البحوث والمقالات :

- الأب أنطون صالحانى اليسوعى : ترجمة ابن العبرى فى كتابه (تاريخ مختصر الدول).
- سهيل زكار : أضواء على بعض المصادر السريانية لتاريخ العرب والإسلام ، ندوة أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب ، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ٥-٧ شعبان ١٤١٩هـ/ ٢٤-٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م.
- محمد عزيز : العرب فى المصادر السريانية المعاصرة للخلافة العباسية، ندوة أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب.

رقم الإيداع ٦٥٤٩ / ١٩٩٤

دار روتابرينت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
مهندس / يوسف عز
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق